عبد السميع المصري

مقومات العمل
في الإسلام

يطلب من : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعـــة الأولى

ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ ــ يناير سنة ١٩٨٢ م

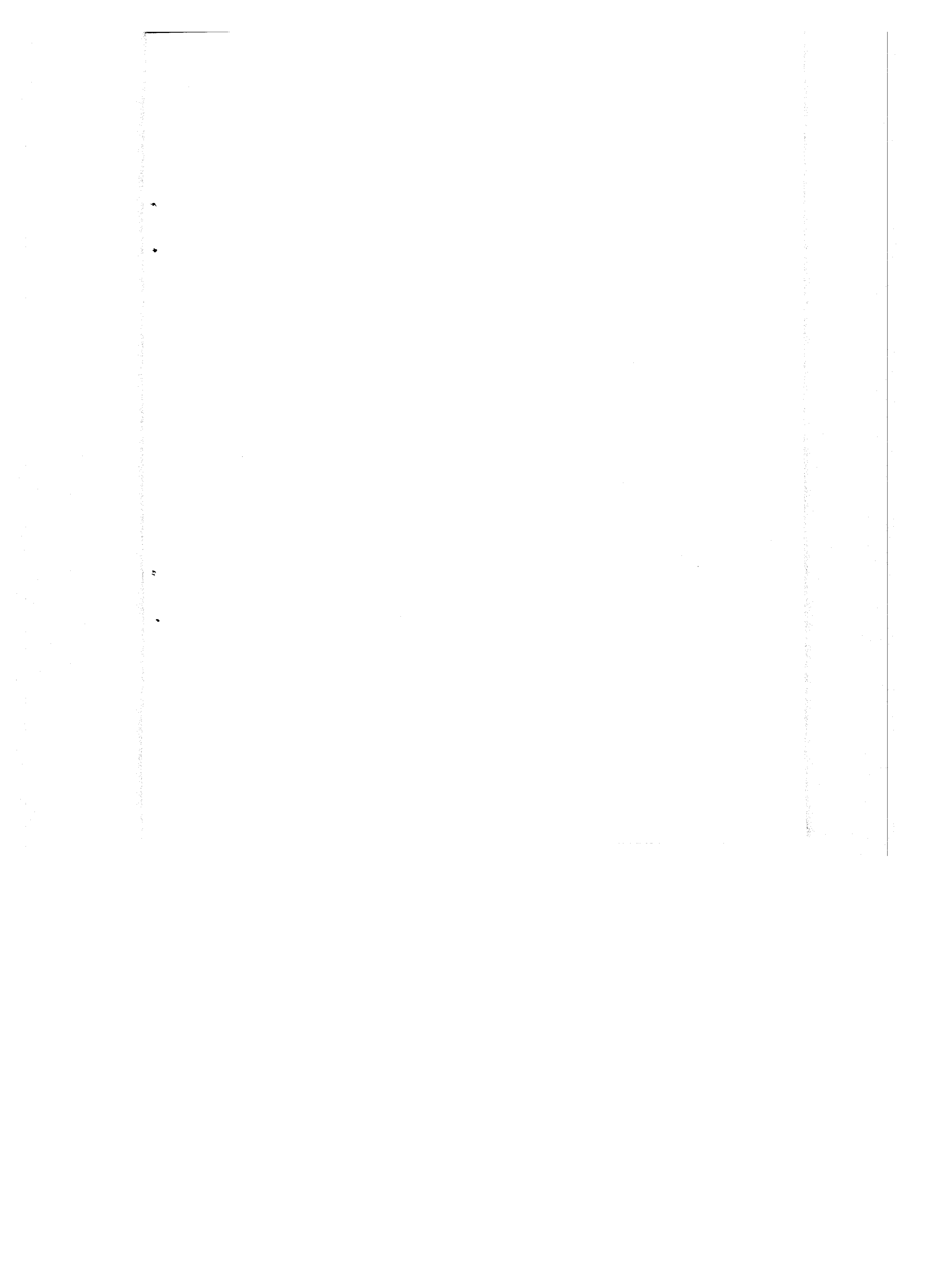
دار التراث العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » .

(صدق الله العظيم)

(الملك : ١٥)



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الاسلام هو الرحمة المهداة لبنى الانســـان وهو النور الذى يضىء لنا ظلمات الدنيا وهو الحرية لبنى الانســـان والتحرر من كل عبودية الا لله تعالى .

وقد نزل الى الدنيـــا وشعاره « **لا اكراه فى الدين** »[1] فخليق بمن يؤمن بالاســـلام أن يجعل كتاب الله فيصلا فى حياته ولا يجد حرجا فى نفســـه عند تطبيقه « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** »[2] .

وخليق بمن يؤمن بالاسلام أن يكون الله غايته فى كل أمر وهدفه الأول فى الحيـــاة فيكون سلوكه فى الحياة تعبيرا عن هذا الايمان .

وسعيه للعمل تعبيرا عن هذا الايمان .

واتقانه للعمل تعبيرا عن هذا الايمان .

بل ومشاركته فى الحرب والسلام لا تكون الا تعبيرا عن هذا الايمان .

بل هو مطالب بأن تكون غايته مكافحة الشر والباطل والوقوف بجانب الحق والخير لأن الله نفسه هو الخير والحق والكمال .

وان العالم اليوم ليعانى من نير الأيديولوجيات البشرية المختلفة فالأيديولوجية الجماعية ــ الشيوعية ــ والأيديولوجية الفردية ــ النظام الرأسمالى الحر ــ « قد حرما العالم الانسانى فى عصرنا اليوم من اطمئنان النفس وبالأحرى سببا له القلق والاضطراب من أجل المصير والمستقبل ، ووجها الانتاج البشرى الى التخريب والتدمير وأرغما العلم على أن يعبد الطريق لفناء الانسانية كلها بدلا من أن يسعى لرفاهيتها واسعادها بالسلام وتوفير أسباب الحياة الهادئة »[3] .

---

(١) البقرة : ٢٥٦ — (٢) النساء : ٦٥

(٣) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى ص ٣٩٢

لقد سلبت الشيوعية الطبقة العاملة التى جاءت لتحررهـا •• سلبتها حريتهـا •• اذ كيف يكون الفرد حرا وهو لا يجد عملا الا عند الدولة ولا يجد قوته الا عند أصحاب القوامة على هذا النظام ؟ انه عندئذ يخضع رأيه وفكره لبطنه •• لتحصيل وسائل حياته فى الغدو والرواح الى العمل وفى الوقاية من التشريد فى المسكن •

أما الرأسمالية فقد احتكرت كل شىء فى الحياة بما أوجدته من اقطاع صناعى ومالى رهيب يسيطر على مقدرات الشعوب ويقيم الحكومات ويسقطها ويشعل نيران الحروب أينما يريد ••• فهل استطاع الانسان أن يبلغ حريته الحقة فى ظلها ؟ ••

ان الاســلام يدعو البشرية الى الوسطية السمحة التى تفيض الســلام على العــالمين •• يقول تعــالى : « **وكذلك جعلناكم أمــة وسطا** »(1) •

ولا تتفق الوسطية التى ارتضــاها الله للأمة الاســلامية وذلك التطرف الذى يجعل الحيــاة مادة فقط كما يزعــم أصحاب المذاهب الاشتراكية أو يجعلهــا أنانية مغرقة فى اللهو وانتهاب متع الحياة كما تنادى الرأسماليــة الليبرالية لأن الاســلام لا يرى فى أغلى ماديات الحياة الا مجرد زينة لا تعدل شيئا فيما عند الله : « **المــال والبنون زينــة الحيــاة الدنيــا ، والباقيات الصــالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** »(2) •

وبذلك تميز الاسلام بمنهجه الاقتصــادى الفريد بين تلك المذاهب الأرضية •• مذهبه الذى يزاوج بين تطلعات الروح وحاجات الجسد •• مذهبه الذى يتفق وفطرة الخلق •• « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** »(3) •

وفى هذا الكتاب نتناول بالبحث « العمــل » كأحد أعمدة الاقتصاد الاســلامى الذى تحدثنا عن نظريته المتكاملة فى كتاب « مقومات الاقتصاد الاسلامى » •

---

(1) البقرة : ١٤٣
(2) الكهف : ٤٦
(3) الملك : ١٤

وللعمل مكانته فى الاســلام لأنه أساس الاقتصــاد على هــذه الأرض لذلك كرمه الاســلام أكبر تكريم وأحله المكانة اللائقة به فى شرائعه وحث المســلمين على العمل بل ودعاهم دعوة ملحة الى الجد والاجتهــاد والسعى فى الأرض ابتغــاء لفضل الله حتى ليقول الرسول صلى الله عليــه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »(1) •

ويقول عليه الصــلاة والســلام : « اليد العليــا خير من اليد السفلى »(2) •• حاضا المسلم على التمسك بالعزة بعد أن بين له أن العزة فى العمــل الذى يغنيه عن سؤال الناس •

بل انه صلى الله عليــه وسلم ليوجب على المســلم أن يكون عضوا نافعا فى الجماعة يسهم فى خير المجتمع وصالحه بما يبذل من عمل فيقول : « على كل مسلم صدقة ، قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق • قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير »(3) •

وهل هناك دعوة للعمــل والحرص على التعمير والانتاج من قــوله صلى الله عليه وسلم : « اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة(4) فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فله بذلك أجر »(5) •

لكنه مع ذلك هو العمل الذى يقصد به وجه الله تعالى وينبع من الاحساس بالمسئولية أمامه سبحانه فيمضى طاهرا خالصــا لخير البشرية ورخائها وسلامها ولدعم حرية الانســان وكرامته •

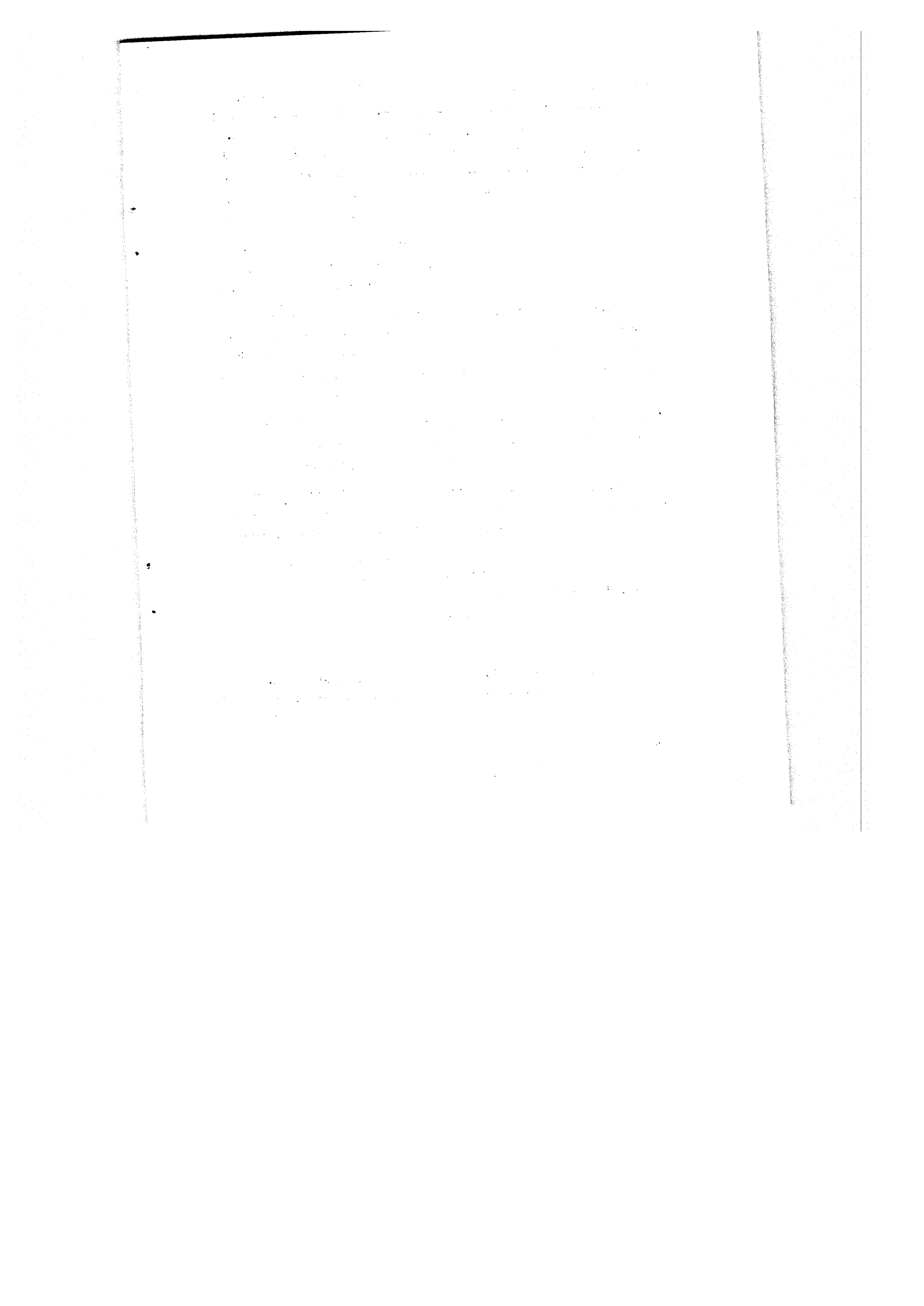
المعادى فى يوم الأربعاء ١٨ من المحرم ١٣٩٨ هـ
الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٧٧ م

عبد السميع المصرى

* * *

---

(1) رواه البخارى •
(2) رواه البخارى ومسلم •
(3) رواه البخارى ومسلم •
(4) شتلة زرع •
(5) رواه أحمد •



الفصل الأول

تعريف بالعمل

* ما هو العمل ؟
* وقل اعطوا ...
* مكانة العمل

ما هو العمــل ؟

يقول الاقتصاديون أن العمــل هو كل جهد يبذله الانســـان — ذهنى أو بدنى — لخلق منفعة اقتصادية أو زيادة منفعة شيء موجود •

فاذا كان كل جهد يؤدى الى منفعة اقتصادية يعتبر عملا فادارة صاحب المصنع لمصنعه وصاحب المزرعة لمزرعته يدخل فى نطاق هذا التعريف للعمل •

ويعتبر الرأسماليون ما يدفعونه من أجور للعمـــال جزء من مقومات القيمة المضافة « Added Value » التى تتكون من الأجور والأرباح والفوائد المدفوعة وتضاف أخيرا الى قيمة المنتج أو السلعة •

ولذلك يحرص الرأسماليون على أن يدفعوا للعمـــال الأجر الذى يتعادل مع انتاجيتهم الحدية وفى ظل هذا النظام يشعر العامل بالغبن وبأن ما يتقاضاه من أجر لا يتكافأ مع ما يبذل من جهد •

ولهذا طلع كارل ماركس — نبى الشيوعية — على الناس بنظرية فائض القيمة « Surplus Value » ومعناها الفرق بين ما يتقاضاه العامل من أجر وقيمة ما ينتجه فعلا •

ويتفق آدم سميث — أحد عمد الاقتصاد الرأسمالى — مع كارل ماركس فى أن العمــل هو أساس كل القيم التبادلية وهو ما يعبر عنه كارل ماركس بالسلب المســتمر لفائض القيمة الذى يؤدى الى التكدس الرأسمالى فى الآلات وغيرها •••

وهكذا نلمح فى هذه الآراء بذور الصراع الطبقى بين الناس الذى أدى الى المنازعات الدموية التى تؤججها الأيديولوجيات المعاصرة ••• هذه المنازعات التى لم تهدأ أبدا والتى تركت هذا العالم نهبا للتمزق والاضطراب فماذا يقول الاسلام عن العمل ؟ ••

يقول المولى عز وجل : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقـــه ، واليه النشور** »(١) •

---

(١) الملك : ١٥

تأمل معى هذا القول الكريم •• لقد جعل المولى هذه الارض وما فيها من أرزاق لنا •• وهو يأمرنـــا أن نسعى فى أرجائها لنصيب من هذه الأرزاق : « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » •• المشى أولا •• والمشى الى أرجائهـــا البعيدة والقريبة — فى مناكبها — •• أى السعى الجاد والعمل للرزق •• فالعمل هنا هو الوسيلة للرزق بل هو السبيل الى الحياة •• هو مقابل الحياة نفسها ••

اذن فالاسلام يقول : « العمل هو ثمن الحياة » ••

ومن دفع الثمن حل له الرزق ••

ومن قعد عن العمل فليس له جزاء الا الحرمان ••

أما من لا يعمل وقد حاز الثروة ليبددهـــا فى سفاهاته فهو لص من لصـــوص الحيـــاة لأن الله تعـــالى يقول : « **وأن ليس للانســـان الا ما سعى** »(١) ••

« انها سنة تحمل كل ما عرفت موازين الجزاء من عدالة الدنيا والآخرة :

١ — فلا جزاء لقاعد بلا سعى •

٢ — ومن أخذ بدون سعى فهو غصب وفساد ومجـــافاة لســـنة الحياة •

٣ — ومن سعى ولم يأخذ حقه فهو ظلم وحرمان وافساد لعوامل التقدم والعمران •

٤ — ومن سعى وأخذ أقل مما له أو أكثر فهو نذير الجور الذى يثير الخلل ويعبث بكفتى الميزان »(٢) •

وفى كتابه « الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى » يرى الأستاذ البهى الخولى أن العمـــل هو تكليف كونى للانســـان مقابل ما منحه الله من مواهب فيقول :

« ان مواهب الفرد — اذا كانت مواهب تعمير وتثمير — يجب أن

---

(١) النجم : ٣٩

(٢) الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية — العمل والعمال للبهى الخولى ص ٢٦ •

تعدّ جميعا فلا تعطل منها واحدة فذلك هو قانونها الذى سويت عليه وما خلقهـا سبحانه الا لتؤدى مقاصد معينة أرادهـا •• أى ما خلقها الا لتعمـل ، لا لتعطل أو تهمل •• بل انها اذ وهبت له ، كانت بمنزلة أمر كونى ، أو تكليف الهى بالعمل ، فما برحت المواهب مناط التكليف ومن لا مواهب له لا تكليف له •• والله سبحانه يقول **« لا يكلف الله نفسا الا ما آتاهـا »**[1] ومعناه فى مقامنا هذا ، أن ثمت تكليفا للفرد أن يعمل فى نطاق ما آتاه الله من مواهب •• فالعمل تكليف شرعى ، أو فريضة يلقيها الاسلام على الفرد وليس مجرد حق للفرد فحسب •

ويجب الى ذلك أن يعمل كل فيما يلائم مواهبه فاختلاف الناس فى المواهب معناه أن كلا منهم أعد لعمل معين ووجهة خاصة ، على نحو ما قال عليـه الصلاة والسلام : « ان الله خلق كل صانع وما صنع » ، « ان الله خلق كل صانع وصنعته »[2] •• يريد أن الله خلق لكل انسان استعداده الذى يقوم به صنعته فى الحياة •• واذا كان ذلك هو الواقع من فطرة الانسـان ، فمعناه أن كل فرد قد اختيرت له وجهته وعمله ، وميدانه فى الانتاج ، ويسرت له تلك الوجهة بالمواهب التى أهل بها وسوى عليهـا مصـداقا لقوله تعـالى **« ولكل وجهة هو موليـها فاسـتبقوا الخيرات »**[3] •• واذا كانت المواهب بمنزلة أمر كونى ، أو تكليف الهى ، فهذا التخصيص فى المواهب ، بمنزلة أمر شرعى بأن يعمل كل فرد فى الميدان الذى أعد له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اعملوا فكل ميسر لـما خلق له »[4] وهو قانون جامع لآفاق شتى من حقائق القضـاء والقدر ، يهمنا منها فى هذا المقام ، أن يتجه المرء فى مناحى الانتاج والكسب الى الوجهة التى تيسرها له طبيعته »[5] •

والعمل فى الاسلام عبادة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » •

وفى ذلك يقول أستاذنا محمد أبو زهرة : « ليست العبادات فى الاسلام مقصورة على الصلاة والصوم والزكاة والحج ، فان كل عمـله

---

(١) الطلاق : ٧
(٢) اخرجه البخارى والبيهقى •
(٣) البقرة : ١٤٨
(٤) رواه مسلم والبخارى •
(٥) ص ١٠٨ من الكتاب •

يقصد به وجه الله تعـالى والقيام بحق الناس استجابة لطلب الله تعالى باصلاح الأرض ومنع الفساد فيها يعد عبادة ، فالعامل الذى يخلص فى عمله ويقوم بواجبه مرضاة لله سبحانه وتعالى واستجابة لأمره يعد فى عبادة مستمرة ، ومن يعمل عملا ينتفع منه الناس يقدم صدقة يثاب عليها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من زرع زرعـا أو غرس غرسا فأكل منه انسان أو دابة كتب له به صدقة » • ولقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يتحامل على الناس ، فسأل عنه فقيل هذا عابدنا فقال عليه السلام « ومن يؤكله » ؟ قالوا : كلنا يؤكله • فقال عليه السلام : « كلكم خير منه » • وقد روى أن رجلا مثل هذا الرجل دخل على عمر بن الخطاب فسأل كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : له اخوه ، فقال عمر رضى الله عنه : أخوه أعبد منه •

والسعى على العيـال والقيام على شئونهم ورعايتهم من أفضل العبادات المكفرة للذنوب ، ولذلك قال عليه السلام : « من الذنوب ما لا يكفره الا السعى على العيال » •

وبذلك يتبين أمران :

أولهما : أن العبادات فى الاسلام ليست تجردا من الدنيا ولكنها فى العمـل لشئون الدنيـا أيضا ، بسد حاجات الناس ومد يد المعونة اليهم وطلب المرضاة من رب العالمين خالق الناس أجمعين •

ثانيهما : أن العامل اذا لاحظ أنه يقوم بخدمة اجتماعية للناس وأنه يؤذيهم ان امتنع ولم يعمل ، وأراد أن يعمل لارضاء الله تعـالى بنفع عباده يعلو الى مستوى تسمو فيه نفسـه عن أن يكون خادما لأحد من الناس ، بل خادم للكافة يقوم فى حدود عمله بقدر طاقته ، ويشعر أنه ما دام يعمل فهو يعبد الله تعالى ، وأنه ان ترك عمله ينقص من حاجات الناس بمقدار الترك ، وأن هذا بلا ريب يربط الآحاد بمجتمعهم ربطا وثيقا »(١) •

ويعرف فقهاء الشريعة العمـل فى الاسـلام بأنه بيع منفعة ، ويضعون بذلك عقد العمـل ضمن عقود الاجارة لكن لا يعنى هذا تحكم

---

(١) مجمع البحوث الاسلامية من بحث مقدم لمؤتمر المجمع الثـالث ص ٣٧٧ ، ٣٧٨

رب العمل فى حرية العامل وفى حقوقه كانسان له كرامة لأن ذلك ليس من الاسلام فى شىء •

يقول الله تعـــالى : **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون »**(١) •

« فاذا كانت منفعة المـــال لمن يملك ولمن لا يملك على السواء فالمالك كالعامل سواء بسواء • كلاهما له مصلحة فى المـــال وكلاهما له مصلحة فى العمل فيه • فالمـــالك ان بدت له مصلحة فى العمل فى ماله فالعامل له مصلحة حقيقية كذلك فى مال المـــالك ، عدا أنه يؤجر على عمله فيه • وهى مصلحة المشاركة فى منفعته العامة ، فهو على فرض أنه سيعجز عن العمـــل فمصلحة المشاركة فى منفعته باقية له ، يأخذ منه ليعوض عن عجزه وعدم صلاحيته للعمل •

وعمارة الكون اذن ـــ والمجتمع صورة من صوره ـــ تقوم على المالك والعامل معا ، المالك يحرس ماله ويباشر تنميته • والعامل يعمل فيه ويؤجر على عمله • ولا تتم هذه العمارة بسيادة الملاك وحدهم عن طريق المـــال ولا بملكية الدولة مع قطعان العمال التى تسوقهم الى العمل سوقا »(٢) •

لأن استخلاف الانســـان فى مال الله الذى يقول به الاسلام يختلف عن الملكية الفردية فى النظام الرأسمالى •• انه فى الاســـلام طريق مرسوم لمنع الطغيان عن طريق ملكية المـــال ولتأدية وظيفة المـــال الاجتماعية عن طريق الزكاة •

فالمستخلف ملتزم بالسير فى تحقيق العدالة الاجتماعية طبقا لشريعة الاســـلام •• وأول ما تطالب به شريعة الله هو تحقيق المنفعة العامة للمال للمالك ولغير المـــالك على السواء •• **« فهم فيه سواء »** •

فينفق صاحب المـــال ما زاد عن حاجته فى وجوه الانفاق المشروع تحقيقا للمنفعة العامة للمال التى تتحقق بدورانه لصالح الجماعة ولا تتحقق بكنزه •

---

(١) النحل : ٧١

(٢) من بحث للدكتور محمد البهى بمجلة الاعتصام القاهرية عـدد رجب ١٣٩٦ هـ

ومع كون المجتمع الاسلامى مجتمع ملاك وعمال معا فانه ليس مجتمعا طبقيا لأن العمال والملاك اخوة فى الايمان ومتساوون فى الاعتبار البشرى .

وهذا الاخاء فى الله يحول دون قيام نزاع بينهم فضلا عما يسمى بالصراع الطبقى ، ومساواة بعضهم لبعض فى الاعتبار البشرى من شأنها أن تمنع سخرية بعضهم من بعض واستخفاف القوى بالضعيف كما أمر الله فى قوله تعالى : « **انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** »(١) .

ولما كان الاسلام يفترض أن يكون المسلم عاملا فى خدمة المجتمع فالجميع بهذه الصفة سواء ولذلك كان المبدأ « ألا كسب بلا جهد ولا مال بلا عمل » .

وكان الربح فى نظر الفقه الاسلامى نوع من نماء المال نتيجة استخدامه فى نشاط استثمارى وهذا النشاط يراعى فيه تقليب رأس المال من حال الى حال مثل ما يحدث فى التجارة عندما تصبح النقود عروضا ثم تعود نقودا أكثر بالربح أو أقل بالخسارة .

« ان هذا التقليب للمال والذى يحصل الربح نتيجة له ما هو الا اظهار للجهد البشرى المرتبط بعمل الانسان فى المال وذلك لأن هذا المال المكتنز لا يزيد ولولا مخالطة العمل للمال لبقى الدينار فيه دينارا بل لنقص بالزكاة ولكن هذا الدينار قد يصبح دنانيرا اذا أمسكته يد الانسان الخبير بالبيع والشراء مثلا ..

فالمال لا ينمو الا بالعمل لأن النقود لا تلد النقود بل لا يصح أن تلد النقود لذلك لم يقرر الاسلام للنقود حقا فى الحصول على أى ربح الا اذا كان ذلك على وجه المشاركة للعمل وفى هذا دليل ملموس على مدى اعتبار هذا العنصر المعنوى المتمثل فى جهد الانسان الذى كرمه الله »(٢) .

---

(١) الحجرات : ١٠ ، ١١

(٢) تطوير الأعمال المصرفية لسامى حسن حمود ص ٢٧٨ .

ومؤدى ما تقدم من أقوال أن ثمة عامــلا مميزا فى الاقتصــاد الاسلامى ــ والعمل ركيزته الأولى ــ هو الاتجاه بالنشاط الاقتصادى الى الله سبحانه وتعالى مما يضفى على ذلك النشاط الطابع الايمانى والروحى وشعور الرضا والاطمئنان .

« وهنــا تبرز نقطة هامــة كثيرا ما تدق على الكثيرين ومنهم المتخصصون ، وهى أن الاســلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادى وما هو روحى ، ولا يفرق بين ما هو دنيوى وما هو أخروى . فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الانســان ، هو فى نظر الاسلام عمل روحى أو أخروى ، طالمــا كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى .

فليس صحيحا أن هناك صراعا بين الدين والدنيــا ، أو هناك مجالا لكل من النشاط الدنيوى والنشاط الأخروى ، فالاسلام لا يعترف بهذا الفصل الميتافيزيقى بين الحاجات المــادية أو الروحية ، وذلك التمييز المصطنع بين الأنشطة الدنيوية أو الأخروية الا على أساس مشروعية العمل وابتغاء وجه الله .

ويحكى أن بعض الصحابة رأى شابا قويا يسرع الى عمله ، فقال بعضهم : لو كان هذا فى ســبيل الله ؟ فرد عليهم النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى مفاخرة ورياء فهو فى سبيل الشيطان » .

أكثر من ذلك ، فان علامة الايمان الصحيح فى الاسلام ، هى العمل النافع والانتاج المــادى الذى يعود بالصــالح على المجتمع . فالله سبحانه وتعــالى يقول **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورســوله والمؤمنون »**(1) .

ويقــول : **« لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس »**(2) .

ويردد عليه السلام أن السبيل الفعال للتقرب الى الله تعــالى والفوز برضاه هو بمحبة عباده ومساعدتهم ويقول « خير الناس أنفعهم للناس »(3) .

---

(1) التوبة : ١٠٥ .   (2) النساء : ١١٤ .   (3) رواه أحمد

وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تفعل ، فان مقام أحدكم فى سبيل الله — أى فى سبيل المجتمع — أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما » .

فالأيمان فى الاسلام ليس ايمانا مجردا ولكن ايمان مجدد مرتبط بالعمل والانتاج ومرتبط بالعدل وحسن التوزيع ، ومرتبط بحسن المعاملة ومد يد المعونة للغير ، أى مرده فى النهاية نفع المجتمع ، ومن ثم كان تأكيد الرسول دائما بأن : « رهبانية الاسلام هى الجهاد فى سبيل الله » أى فى سبيل المجتمع ، مجتمع الانتاج والخدمات بل قوله عليه السلام : « هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم »[1] .

فالروحانية فى الاسلام هى العمل الصالح ابتغاء وجه الله . ورحم الله عمر بن الخطاب حين قال : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة »[2] .

كما أن الاتجاه بالعمل الى الله تعالى يقيم فى النفس رقابة أخرى على هذا النشاط أساسها فكرة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر ولا شك أن فى ذلك ضمانة قوية لسلامة السلوك الاجتماعى وشرعية النشاط الاقتصادى لشعور الفرد المؤمن بأنه اذا استطاع أن يفلت من رقابة المخلوق فانه لن يستطيع أن يفلت من حساب الله تعالى ومن هنا كان أساس المسئولية فى الاسلام أن « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك » .

فاذا سار العامل المسلم فى ضوء من تعاليم الاسلام التى تستنهض رقابة الضمير وتحفز الى بذل أقصى الجهد لتعمير أرض الله حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر »[3] . وفى نفس الوقت أن يكون كل سعيه لله لأن ما عند الله خير وأبقى « **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** »[4] .. لاستطاع المسلمون أن

---

(1) رواه البخارى واحمد .

(2) من بحث للدكتور شوقى الفنجرى بمجلة الوعى الاسلامى الكويتية عدد ذى القعدة ١٣٩٥ هـ .

(3) رواه أحمد . (4) آل عمران ١٨٥

يقدموا للعالم أسمى صور الاقتصاد الذى يتميز بطابعه الانسانى الذى يزاوج بين المصالح المادية والحاجات الروحية ويقضى على نزعات السيطرة والطغيان ويعفى على أسباب الصراع والاقتتال ..

فمما قدمنا بين يديك يتضح لك أن المبادىء الاسلامية عامة متطورة تتعلق بالحاجات الأساسية للأفراد والمجتمع وتوجد التوافق بين بشرية الانسان وتطلعاته الوجدانية وهى بذلك صالحة لكل زمان ومكان اذا أحسن تطبيقها .

وقد رأينا أن الاسلام يعتبر العمل مقابلا للحياة على أرض الله .

وهو عبادة مفروضة كسائر الفرائض والعبادات الاسلامية « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

وأن الأعمال الشريفة كلها مقدسة فى نظر الاسلام : « لأن يحتطب أحدكم خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »(١) .

وليس هناك دعوة أبلغ للعمل والحض عليه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وان نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »(٢) .

* * *

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

« وقل اعملــوا ... »

هذا أمر الله لعباده فى الأرض أنزله فى قرآنه العظيم ليعملوا ويسعوا فى الأرض ويسيروا فى أرجائها ليعمروهــا ويستخرجوا منها أرزاقهم ..

فهل يليق بعد هذا الأمر الالهى البين أن يرمى شخص هذا الدين القيم بأنه دين تواكل وكسل ؟ .. دين يدعو الى الزهد فى الدنيــا والقعود عن طلب الرزق ؟ ! .

لقد حاول الجهلاء أن يدعوا بأن فى قول الله تعالى : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »**(١) وقول النبى صلى الله عليه وســـلم : « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »(٢) وقوله عليه السلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله »(٣) .. معنى ضمان الرزق فلا داعى للتعب وأن التوكل على الله كفيل بوصول الرزق اليهم دون حاجة الى عمل ومشقة وما على من يريد رزقا الا أن يدعو الله ..

حقا ان الله قد ضمن رزق العباد بما أودعه فى الأرض من أقوات قدرهــا تقديرا لكنه طلب من خليفته فى الأرض أن يعمل لاستخراج هذا الرزق : **« فامشوا فى مناكبهــا وكلوا من رزقه »**(٤) وكما يقول تعــالى : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »**(٥) .. انتشروا فى أرجائها القريبة والبعيدة سعيا وراء فضل الله ..

وأليست الطير « تغدو خماصا » كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .. أى تغدو جوعى لتسعى فى طلب رزقها وتتعب لتروح بعد ذلك بطانا ؟ !

لقد جهلوا بما افتروا على الاسلام الذى أنزله الله نورا ورحمة للعالمين وكان نقطة تحول فى تاريخ البشرية بل ثورة اجتماعية لم يشهد لها التاريخ مثيلا ..

---

(١) هود : ٦

(٢) رواه الترمذى

(٣) رواه الترمذى

(٤) الملك : ١٥

(٥) الجمعة : ١٠

كان الاســـلام ثورة •• ثورة المستضعفين بقيادة اليتيم الفقير صلى الله عليه وسلم « ضد الأقوياء المعتدين فى المجتمع البشرى •• لأنه لو لم يكن هناك اعتداء وطغيان من جانب واستضعاف واستذلال وامتهان بشرى من جانب آخر بين أفراد المجتمع لـــا كانت هناك حاجة الى « رســالة » •

ولو أن الأقوياء الطغاة فى المجتمع يراجعون أنفسهم من وقت لآخر ثم يسلكون المســلك الانســانى الكريم ازاء غيرهم لــا بقوا طغاة معتدين •• ولـــا كانت طبيعة الرســالة اذا جاءت الا تأكيدا ولم تكن لها « الطبيعة الثورية » •

لكن طبيعة الانسان تدفعه الى أن يطغى ان رأى نفسه استغنى !

واذا طغى فلا ترده الا قوة أخرى تهزه وتكون أشد منه وأنكى !

وهذه القوة الأخرى لن تكون الا قوة الايمان •• لأن الطاغية المعتدى لن يصـــل الى طغيانه واعتدائه الا اذا جمع كل القوى المادية وسيطر عليها وحده أو هو وعصابته •• وعندئذ لا يبقى من قوة فى مجال الحياة الانسانية فى المجتمع الموزع بين قوى وضعيف وطاغ ومطغى عليه الا قوة الايمان بالحق الطبيعى •• ولن يبدأ هذا الايمان الا من جانب المستضعفين وحدهم أولا •

ومن هنا كانت رسالة الاسلام ثورة •• لأنه يقوم أولا على قوة الايمان بالحق الطبيعى وكانت ثورة المستضعفين فى وجه الطغاة الأقوياء وكذلك كانت كل رسالة سماوية ثورة قام بها المستذلون فى الأرض :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »(١) •

ومن هذه الآية يتضح :

* أن ثورة المستضعفين فى الأرض ثورة مستمرة لأنها تخضع لقانون طبيعى ••

---

(١) النور : ٥٥

* وأن اتجاهها فى الحياة الذى تأخذ به نفسها هو اتجاه الحق والعدل وتكافل المجتمع ومحاربة الطغيان والاعتداء ليبقى السلام وحده هو الخط المستقيم للبشرية فى السلوك والتكافل « **وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم** » ، « **وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** »(١) ٠

وفى العصور الحديثة شاهدنا تكدس الأموال فى المجتمعات الرأسمالية وظهور الاحتكارات العالمية الرهيبة التى تسيطر على كل شىء فى العالم من أول توجيه الحكومات واشعال نار الحروب الى التحكم فى أرزاق العباد فكان لابد من تجدد ثورات المستضعفين فى محاولات متصلة لتصحيح مسار البشرية بعد أن أصبح المال معبودا لبعض البشر وانتكس فهم البشرية لوظيفة المال فى الأرض ٠

لقد نسوا فى هذه المجتمعات أن الانسان هو الذى يمنح المال القيمة بماله من طاقات بشرية تجعل منه سيدا وموجها فى وجوده وحياته على ما عداه من موجودات أخرى معه ٠ وقيمة الانسان قيمة ذاتية وقيمة ما عداه قيمة عرضية أو اعتبارية بالنسبة له والمال على سبيل الحقيقة معادلة تساوى المجهود البشرى ٠

ولذلك عندما عبر القرآن عنه بقوله : « بما كسب » فقال : « **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** »(٢) ٠

ولقد نسى هؤلاء الناس فيما نسوا « أن الله قد ربط الناس بوجوده ٠ فخلقهم ، وكفل لهم الأرزاق ٠٠ على نحو ما جاء فى قوله تعالى :

« **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ٠ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ٠ وأن من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ٠ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ٠ وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون** »(٣) ٠

والله الذى صنع ذلك ٠٠ هو نفسه الذى مكن الانسان من الكسب

---

(١) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى ص ٩٦ ، ٩٧
(٢) البقرة : ٢٦٧ (٣) الحجر : ١٩ ـ ٢٣

ووجهه الى السعى فى الحياة من أجل معيشته •• وبسعيه جعل لنفسه مالا ، والمـــال اذن هو نتيجة المجهود البشرى •

يقول القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » •

فسمى حصيلة المـــال الذى هو ثمرة النشـــاط « كسبا » •• وأضاف الكسب الى البشر فى قوله : « **ما كسبتم** » اشارة الى أن الأموال تابعة لجهودهم الخاص وهى فى أيديهم ملك لهم »(١) •

وهذه الآيات التى ذكرناها آنفا حين تربط المـــال أو الكسب بعمل الانســـان تذكره دائما بالمـــالك الأصلى لهذا المـــال ليجعله أمامه فى كل تصرف فلا يستغل ضعف أخيه الانســـان فى أيه صورة أو بأية وسيلة وليذكر دائما قوله تعـــالى :

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير »(٢) •

أى أن سعى الانسان ومجهوده للحصول على ما فى الأرض مرهون بارادة الله وقدرته كما تؤكد ذلك آية البقرة : **« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنـــا لـــكم من الأرض »(٣)** •• التى زاوجت بين سعى الانســـان فيما أسمته هنا « كسبا » وبين ارادة الله فيما عبرت عنه بقوله تعـــالى : **« أخرجنا لكم »** •

« والواقع أن الأمر يعود الى مجهود الانســـان وسعيه وحده • أما الأيمان باقتران الله بنتائج هذا المجهود والسعى فلكى يخلص هذا المجهود من الانحراف ويبعده عن وسائل الايذاء والاضرار ويستصحب معه خصائص الانسانية الكريمة فى الفعل والسلوك •

وهذه هى فائدة الربط بين السماء والأرض وخضوع الانســـان لرسالة الله » •

---

(١) الفكر الاســـلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى ص ٤٠ ، ٤١ ص ٤٠ ، ٤١

(٢) آل عمران : ٢٦ (٣) البقرة : ٢٦٧

ويقول ابن خلدون فى مقدمته : « كيف أن طبع الانسان يحمله على الاقتناء والملك بالسعى والعمل وأن المتحصل من هذا السعى قد يكون مساويا للكفاف — فهو الرزق — أو أزيد منه — فهو الكسب — فيما يعرف فى تعبير الشرعيين •

فالعمل اذن هو الأصيل لكل فرد والبديل عنه وهو استخدام الغير جاء بالعادة خروجا عن الغريزة والسجية •

والقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل القنية •

وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة فى الكثير من الصنائع فنجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما فى أسعار الأقوات بين الناس فان اعتبار الأعمال والنفقات فيها ملاحظ فى أسعار الحبوب لكنه خفى فى الأقطار التى علاج الفلح فيها ومؤنته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من أهل الفلح وقد تبين بذلك أن المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها انما هى قيم الأعمال الانسانية »(١) •

وهكذا يرى ابن خلدون أن العمل هو أساس الاقتصاد الاسلامى والأصل لكل قيمة رأسمالية « القنية » •• لكن الاسلام يعمل دائما على ايجاد المجتمع العامل النشيط الذى لا يعتمد على تراكمات رأسمالية •

فتفتيت الملكية فى نظام المواريث الاسلامى يستهدف — الى جانب الحرص على الرعاية الاجتماعية لجميع أفراد الأسرة — الحث على العمل والسعى دون اعتماد على مدخر موروث • وهو هدف أصيل بالنسبة للانسانية الانسان لأنه عند تفتيت التركة بالميراث يقل نصيب الفرد وبالتالى ربما تقل الخدمات التى كان يحصل عليها حال حياة المورث بسبب المال المتجمع فى يده •

وبذلك يضطر الوارث — حتى يحافظ على المستوى المعيشى الذى اعتاده — الى أن يضاعف جهده فى العمل فيباشر انسانيته فى السعى والعمل بدلا من أن يلغيها ويعتمد على المدخر الموروث له وحده كما هو الحال فى بعض أنظمة الميراث الأخرى •

---

(١) صفحة ٣١٨ ، ٣١٩

وسيكون نظام الارث الاسلامى هذا أيضا سببا فى عملية الاخاء بين الافراد فى الامة وتعميقها بما يقارب بينهم فى الدخول وبما يمنع من قيام طبقة تتوارث السيادة أو الطغيان .

لكن النظم الرأسمالية تسللت الى العالم الاسلامى فى حماية الاستعمار الغربى الذى تغلغل فى افريقيا وآسيا حتى حول كل دولهما تقريبا الى مستعمرات تخضع لنظمه السياسية والمالية .

ورغم ما حققه الاستعمار الغربى من الثراء الكبير لدوله بنهب ثروات المستعمرات الا أنه لم يستطع أن يقيم العدالة الاجتماعية فى مجتمعاته ولم يستطع أن يحقق عدالة التوزيع بين شعوبه فبدأت الثورات المعاصرة فى الغرب ضد الظلم الاجتماعى الذى تمثل فى نظام الربا الذى سيطر على كل نواحى الحياة وأدى الى التراكمات الرأسمالية التى تحجب عن النشاط الاستثمارى من أجل تكوين احتياطيات لرؤوس الأموال واذا خرجت هذه الاحتياطيات الى سوق العمل فتخرج على شكل قروض قصيرة الأجل بفوائد ربوية مرتفعة تعرقل التنمية ولا تنشطها فتزيد البطالة وتضيق فرص العمل وتزداد الهوة بين الفقراء والأغنياء .

فكانت الثورة الشيوعية الرائدة عام ١٩١٧ فى روسيا التى اتخذت من الماركسية مذهبا لها فألغت الملكية الفردية وأعادت ملكية وسائل الانتاج من أرض ومناجم ومصانع للدولة وألغت فائض القيمة — الاحتياطيات الرأسمالية — وبشرت بجنة الطبقة العاملة .

ولقد مضى الآن أكثر من ستين عاما منذ قيام هذه الثورة التى امتدت الى كثير من أقطار الأرض .. فهل حقق الغاء الاحتياطيات من حسابات المصانع والمزارع والمشاريع الأخرى دفع عجلة الاستثمار وزيادة فرص العمل والازدهار الاقتصادى أو التشبع الذى كان يحلم به كارل ماركس ؟

كلنا يعلم أن روسيا قبل الثورة كانت من أكبر الدول المصدرة للقمح لكنها اليوم تستجدى القمح من دول العالم الأخرى ! ..

فهل هذا التدهور فى الانتاج الزراعى يرجع الى الغاء الملكية ؟ .. لا شك فى أن الملكية — كما أوضحنا من قبل — هى ناتج عمل أو

فائض قيمة عند مجتهد فاذا نزعت منه فقد نزعت منه ثمرة جهده وعمله وبسويته فى الكسب بمن لا يعمل ..

ولقد جاء الى جانب ذلك التزام الدولة الاشتراكية بالتشغيل وتحريم فصل العامل فأدى ذلك الى انتشـــار روح التواكل بين الكثيرين من العمال وضاعت حوافز الانتاج فى الحالين .

لقد رحبت جماهير العمال بالثورة الشيوعية لأن كل مظلوم ومعتدى على حقه فى الحياة الانسانية يرحب بالثورة على الطغيان والاعتداء لكن على أمل أن تكون هناك مساواة فى الاعتبار البشرى بعد قيام الثورة ونجاحها وعلى ألا يرى تفرقة تمس الاحساس العام الانسانى فيه ..

لكن رؤيته بعد ذلك لفريق ممن كانوا مستضعفين ومستذلين يدير سياسة الحكم لأنه ينتمى الى طبقة معينة — طبقة الحزب — يعيد الى ذهنه ماضى ما قبل الثورة ويخرج بالموازنة الى أن العهد الثورى لم يتغير فى جوهره وكل الذى تغير هو وجوه بدل وجوه ولكن الميزات والمنافع والجاه بقيت حقوقا فردية أو طبقية ولم تصل الى حقوق عامة .

ولقد كانت هذه الصورة غالبا ما تتكرر عقب كل ثورة شيوعية مما أدى الى انحســـار المد الشيوعى وأصبح الفكر الشيوعى يرفض أو يقبل بحذر فى كثير من أنحاء العالم وفقدت موسكو ســـيطرتها حتى على الأحزاب الشيوعية فى كثير من الدول .

والاسلام يأبى الصورتين .. يأبى أن يطغى الانســـان بالمــال ليستعبد أخاه الانسان ..

كما يأبى أن يفقد الانســـان حريته واختياره وتمحى شخصيته فى سبيل نظرية فشلت فى التطبيق وحلم ثبتت استحالة تحقيقه ومخالفته لطبيعة الأشياء وسنة الكون التى لا تتبدل والتى ذكرها الله فى كتابه العزيز : **« أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون »** (١) .

---

(١) الزخرف : ٣٢.

ان الملكية الحقيقية للمـــال هى لله وأنه ان وجد بيد الانســـان فهو وديعة وأمانة من المـــالك الأصلى لخليفته فى الأرض ليسلك فيه المسلك الذى يصونه من العبث والتبذير •

فعليه أن يلتزم فى هذا المـــال حدود أوامر الله ونواهيه أى يجمعه من حلال ويضعه فى حلال •

وأن ينفق فى سبيل الله لا سيما صالح المجتمع واخوانه فى الدين بما يزيد عن الزكاة المفروضة وأن يفعل ذلك عن ايمـــان بالله وبدافع من اختياره وارادته لأن التربية الأخلاقية هى قانون الحياة الانسانية فى المجتمع الاسلامى •

وأن يوقن صاحب المـــال بأنه والعامل فيه طرفا عقد هما فيه — أمام الله — سواء •

فاذا قال القرآن الكريم : « **وقل اعملوا ..** »(1) فالأمر للاثنين معا بالعمل والمطلوب منهما هو العمل الصالح • والعمل الصالح هو كل ما يؤديه الانســـان من عمل يريد به خير نفسه وخير أهله وخير الجماعة الانسانية • لذلك يرتب المولى عز وجل عليه الجزاء فيقول تعـــالى : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** »(2) •

ويقول تعـــالى : « **ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** »(3) •

ثم تترى الآيات فى القرآن الحاضة على العمـــل والانتاج مثل : « **وجعلنا النهار معاشا** »(4) •

« **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله** »(5) •

« **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** »(6) •

أما ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو كثير جـــدا وكله تقديس وتكريم وتشجيع للعمل الشريف ومن ذلك على سبيل المثال :

« من الذنوب ذنوب لا يكفرهـــا الا الهم فى طلب الرزق » •

---

(1) التوبة : ١٠٥
(2) النحل : ٩٧
(3) الأعراف : ١٢٩
(4) النبأ : ١١
(5) المزمل : ٢٠
(6) الجمعة : ١٠

« من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله وجهه كالقمر ليلة البدر » •

« أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح » •

والنصح مطلوب فى كل شىء من المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الدين النصيحة •• قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » •

بل المطلوب قبل كل شىء أن يكون أمر المسلم كله لله وأن يبتغى فى كل سعيه فى الحياة وجه الله لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله •• » •

كما قال عن الشاب الذى خرج يسعى فى سبيل رزقه : « ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان » •

وهذه هى ثنائية الاسلام التى تزاوج بين الروح والمادة وبين العمل للدنيا والعمل فى سبيل الله لتقيم المجتمع المتوازن وتحقق للانسان بشريته •• مادة وروح •• غايته الله فى كل سعى فى الحياة ••

* * *

مكانة العمـــل فى الاســــلام

رأينا فيما تقدم من صفحات أن الاســـلام أمر المسلمين بالعمـــل وبالسعى فى أرجاء الأرض ليبتغوا من فضـــل الله حتى جعل العمل مقابلا للحيـــاة ولا قيمة لحياة المرء فى نظر الاسلام بغير عمل ٠٠ فأى مكانة عظمى هذه التى وضع الاسلام العمل فيها ؟ ! ٠٠

ان الاسلام يقرر بأن العمل عبادة وهى فريضة من فرائضه وليست من نوافله ٠٠ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » ٠

ومن مفهوم الحديث أن كل عمـــل هو عمل شريف ما دام فيما أحل الله لعباده من طيبات الرزق بعيدا عما نهى الله عنه من المحرمات ٠

وانه لما يشرف كل عامل أن يعرف وهو يعمل « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل مثله ٠٠ كان يرعى الأغنام ويتجر فى مال خديجة أم المؤمنين ويمشى فى الأسواق كغيره من الناس ٠٠ والقرآن الكريم يقر الرسول على مشيه فى الأسواق ويزيد أن هذا سنة الرسل الكرام جميعا ٠

وانك لتجد الرسول صلى الله عليه وسلم يشعر العامل بشرف مهنته فى أكثر من حديث من أحاديثه الشريفة ٠٠ فهو يقول : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » ثم يزيد مؤكدا قوله « وان نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وداوود واحد من الأنبياء والأنبياء هم أفضل خلق الله وأحبهم الى الله تعالى فاذا كان العمـــل سنتهم فهو أفضل السنن ولا ريب ٠

ثم هو صلى الله عليه وسلم يلقى عاملا من الأنصار فيرى فى يده خشونة فيقول له : « ماهذا الذى أرى فى يدك » ؟ فيقول العامل : انه أثر المسحاة أضرب بها وأنفق على عيالى ٠٠ فيقبل عليه السلام يده ويقول : « هذه يد لا تمسها النار »[١] ٠

---

(١) نظم العمل فى الاسلام لجمال الدين عياد ص ٨ ، ٩

وهكذا نرى أن تقدير العمل لا يقف عند حدود الدنيا وانما تمتد ببركته الى الحياة الأخرى فينجى صاحب العمل الشريف من عذاب الآخرة وخزى النار .. « هذه يد لا تمسها النار » .. ولا عجب فانما جزاء هذه اليد التى شقيت بحرارة العمل فى الدنيا لتنفع نفسها أو من تعول أو اخوة لها فى الله ..ألا تشقى فى الآخرة بلهيب جهنم .

ويحدثنا الأستاذ عبد المنعم خلاف فى كتابه « المادية الاسلامية وأبعادها » عن مكانة العمل فى الاسلام فيقول :

« وعرق العامل وجهده وتعبه من أسباب مغفرة الله له ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا أى واجب من واجبات العبادة ولذلك قال الحديث المحمدى : « من بات كالا — أى متعبا من العمل — بات مغفورا له » . وقال أيضا ما معناه : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وانما يكفرها سعى الرجل على عياله » .

ومما مكن لشرف العمل المادى وقيمته واتقانه فى المجتمع الاسلامى أن القرآن جعل أبطال الرسالات الدينية من الأنبياء والمرسلين على مدى التاريخ هم فى الوقت ذاته رواد فى مجالات العمل والقوة المادية .
فهذا نوح كان رسولا نبيا وكان رائدا من رواد الصناعة اذ أوحى الله اليه بصنع السفينة التى نجته هو ومن معه من الطوفان الذى أغرق قومه الكافرين فكان بدء صناعة السفن على يديه .

وابراهيم أبو الأنبياء كان رسولا ونبيا وكان فى الوقت نفسه يحسن صناعة البناء ولذلك رفع القواعد من البيت الحرام بمكة هو وابنه اسماعيل .

ويوسف الصديق كان رسولا نبيا حاملا لعهد الله مع آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وكان فى الوقت نفسه ذا عقل اقتصادى يحسن تدبير أمور الناس المعاشية ، فأشار على فرعون مصر فى عهده بأن يزرع سبع سنين دأبا ويخزن فائض الزرع وغلته فى هذه السنوات السبع استعدادا لسنوات الأزمة المقبلة التى استشفها بتأويل الرؤيا التى أريها فرعون فى منامه وقصها عليه ، ثم لما استخلصه فرعون لنفسه بعد تأويله للرؤيا ، طلب يوسف أن يوليه منصب القائم على خزائن الأرض فى دولته ليخدم الناس فى مصر وما جاورها بتدبير

أمور معاشهم وأقواتهم ، فكانت رسالته مزدوجة للحياة الروحية والحياة المـادية كما قال القرآن : **« قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم »**(١) •

وموسى رشحته قوته البدنية وأمانته لأن يعمل للنبى شعيب فى رعاية أمواله ويعينه عشر سنوات وأن يزوجه احدى ابنتيه بعد أن قالت : **« يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين »**(٢) •

وداوود كان نبيا ورائدا من رواد صناعة الحديد وكان يأكل من عمل يده كما قال القرآن : **« وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد ، واعملوا صالحا »**(٣)• فهذا أمر الهى باصلاح العمل المـادى واتقانه •

وسليمان بن داوود كذلك كان من المحتفلين بالعمل والصناعة كما حدث القرآن فى قوله : **« وأسـلنا له عين القطر** ـــ أى النحاس ـــ **ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير • يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داوود شكرا ، وقليـــل من عبادى الشكور »**(٤) •

وهذا امتنان بالعمل المـادى وأصل صريح فى أن العمل المـادى من الشكر لله •

ومحمد خاتم الأنبياء والرسل شرف الله بشبابه العمل فى الرعى والتجارة فى أموال الناس وشئون الدفاع عن الحرمات • كما شرف العمل المـادى بدعوته التى جعلت العمل قرين الايمان ولا يصح أحدهما بدون الآخر على نحو ما بينا سابقا • وهكذا نرى أن خلاصة دعوة الاسلام هى هدى العقول والقلوب الى طريق الله الخالق وهدى الأيدى والجوارح الى جميع أنواع العمل النافع الذى تنمو به الحياة المـادية وتزكو الحياة الروحية وتلقى به النفوس جزاءها وثوابها فى الحياة الثانية بدار البقاء والخلود »(٥) •

---

(١) يوسف : ٥٥
(٢) القصص : ٢٦
(٣) سـبأ : ١٠ ، ١١
(٤) سبأ : ١٢ ، ١٣
(٥) صفحة ١٦٦ ، ١٦٧

وكما قلنا ان الاسلام يجعل العمل أساسا لاقتصاده أو كما يقول الاقتصاديون « القيمة هى نتاج الجهد البشرى » لذلك كانت للعمل قداسته فى الاسلام حتى ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » •• أى لا تجعله يسأل حقه بل الواجب على رب العمل أن يسارع هو الى انجاز هذا الحق •

واذا كانت الدولة تضع الحد الأدنى للأجور فالاسلام أوجب على الدولة أن تكفل لرعاياها حاجات الانســـان الأساسية من مأكل وملبس ومسكن ليحقق لها اقامة الحدود الشرعية •

بل ان الاسلام ليرتفع بكرامة العمل الى درجة المساواة بين العامل وصاحب العمل ولنا المثل فى قصة موسى عليه السلام عندما استأجره شعيب عليه السلام ليعمل عنده وزوجه احدى ابنتيه فصار صهرا له •

ويمضى الاسلام الى أبعد من هذا فى تقديس حق العامل فيعتبر حرمانه أجره جريمة لا يغفرها الله سبحانه وتعـــالى كما يروى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه القدسى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » •

كما اعتبر الاسلام كل جهد يبذله العامل فى سبيل أن يعف نفسه ويعول من وجبت عليه اعالته هو جهد فى سبيل الله •

وهكذا نرى الاسلام يربط دائما بين الروح والمـــادة •• بين أهداف الحياة الدنيـــا وأشواق الروح العليا وتطلعاتها الى السماء حتى يجعل من العمل فى سبيل الدنيا طريقا من طرق العبادة •• من طرق المولى عز وجل وحتى يحس الانســـان ببشريته المتوازنة كما خلقه الله روحا ومادة وحتى تتبدى له على الدرب دائما الغاية من حياته الدنيا والهدف من سعيه فيها ••

* * *

الفصل الثاني

عقد العمل

* العقد ضرورة ·
* غاية العمل ·
* حوافز العمل ·
* شروط العقد ·
* عقود أخرى ·
* حق الاضراب ·

العقد ضرورة

لابد للحياة من ضوابط . هذه الضوابط هى التى تحدد علاقة الفرد مع نفسه ومع الناس وتضمن لهذه الحدود ألا تنتهك وألا يعتدى عليها وأن يحفظ لها احترامها وهيبتها .

والعقود هى ضوابط الحياة وسيان أن تكون هى العقود المكتوبة أو المتعارف عليها بين الناس والتى تحدد العلاقات بينهم وتنظم معاملاتهم كما فى عقد الدين أو عهد الله على الناس أن يقيموا شعائره ويحلوا ما أحل لهم ويحرموا ما حرم عليهم .

والاسلام يقدس العهود والعقود ويأمر أتباعه باحترامها وتقديسها حتى مع غير المسلمين فيقول الله تعالى فى أول سورة المائدة **« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »**(١) ويقول : **« وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا »**(٢) .. كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » ويقول : « لا أمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » .

بل ان نظرة الاسلام الى العقود والعهود تمتد الى ما هو أسمى وأبعد من ذلك بكثير وتلفت الانسان الى معانى سامية عظيمة تليق بانسانيته . ذلك لأن نظرة الاسلام الى الانسان نظرة تقدير وتكريم تلزمه بأن يتسامى بنفسه ويجتهد للارتفاع بها الى تلك المنزلة التى خصه بها خالقه وشرفه .. فقد قال تعالى : **« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم »**(٣) .

أى أن الله أجرى عهدا بينه وبين الانسان من بدء الخليقة وشرفه بأن أهله للتعاقد مع خالقه وأوجد له الذمة أى الأهلية لما له وما عليه .
« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان »(٤) .

---

(١) المائدة : ١ (٢) الاسراء : ٣٤
(٣) الأعراف : ١٧٢ (٤) الاحزاب : ٧٢

وأيا ما كان رأى المفسرين فى معنى هذه الآية الكريمة فهى تثبت ولا شك أن هناك أمانة حملها المولى تعالى للانسان وأن الانسان ملزم أمام ربه بحمل الأمانة دون سائر خلقه ٠

ولقد حرص القرآن كما حرص الرسول عليه الصلاة والسلام فى الحض على الأمانة ورعايتها وحفظها وحفظ العهد والوفاء به فوجب على المسلم الحق أن يبنى معاملاته على هذا الأساس السامى من حفظ العهد والأمانة حتى يرتفع الى هذه المرتبة الشريفة التى خصه بها الله تعالى ٠

وهكذا وضع الاسلام كل تشريعاته مراعيا أن العبرة دائما بالوجدان اليقظ والضمير الحى وقد ربط وجود الانسان على الأرض بخالقه فهو يرعى الانسان والانسان يرقبه ويسعى لاحكام الصلة بينه وبينه ومع ذلك فقد أتى بتشريع محكم الحلقات متين البنيان سبق فى كثير من مناحيه التشريع المدنى الحديث بقرون عديدة تزيد على العشرة(١) ٠

والعمل أمانة كلف بها الانسان لعمارة الكون واستخراج ما أودع الله له من رزق فى أرضه ٠

لذلك نظم الاسلام علاقة العمل تنظيما لم تسم اليه شريعة من قبله واذا كان عنوان هذا الباب « عقد العمل » فلأن كل علاقة بين شخصين أو أكثر من المفروض أنها تخضع لشروط تنظمها وينتظمها عقد ٠

ومن المعروف أيضا أن الفرد عند قيامه بانشاء عقد ما فان أول ما يتبادر الى ذهنه ويعمل على توضيحه فى العقد بل ويكون من أول بنود العقد هو « الغاية » من هذا العقد ٠

* * *

(١) نظرية الاسلام الاقتصادية ـ للمؤلف ص ٩٥ ، ٩٦

غايـــة العمـــل

هدف النشـــاط البشرى فى سائر النظم الوضعية هو تحقيق أكبر قدر من الربح للوصول الى مجتمع الرفاهية كما تدعى الرأسمالية أو تحقيق الكفاية المـــادية للجميع كما تزعم النظم الاشتراكية •

وقد أدى استهداف المـــادة الى ما يعانيه العالم من صراعات مريرة بين النظم المـــادية المختلفة لا سيما وأنها جميعا تسعى الى التحكم والسيطرة •

لكن التصور الاســـلامى للدنيـــا كمزرعة للآخرة يجعل المصلحة المـــادية ليست هدفا بل وسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية •• اذ يقول المولى عز وجل : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة** »(١) •

ولذلك يتفرد التشريع الاســـلامى بسياسة خاصة لا ترتكز أساسا على الفرد كالنظم الفرديـــة ولا على المجتمع فحسب شـــأن المذاهب الجماعية وانما قوامها التوفيق والمواءمة والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** »(٢) •

فبينما النظام الرأسمالى يطلق الحرية الكاملة للفرد فى ممارسة النشـــاط الاقتصادى مما يحفز البـــاعث الشخصى ويدفع النشـــاط الاقتصادى ويوسعه الا أن هذه الحرية أدت الى مساوىء أهمها : اتجاه النشـــاط الانسانى الى تحقيق أكبر قدر من الربح بغض النظر عن الحاجات العامة الأساسية وانتشار البطالة والأزمات الاقتصادية ولمـــا كان الأفراد ليسوا على درجة واحدة من الكفاءة فقد ساعد ذلك على سيطرة الأقوياء واستئثار الأقلية بخيرات المجتمع وبالتالى الى سوء توزيع الثروة فالصراع بين الطبقات •

وأما النظام الاشتراكى فيجعل المجتمع هدفه فيقدم مصلحة المجموع على مصلحة الفرد وتتدخل الدولة فى الأنشطة الاقتصادية وتتملك معظم

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) البقرة : ١٤٣

وسائل الانتاج بهدف اشباع الحاجات العامة وتلافى البطالة والأزمات الاقتصادية ورعاية مصلحة الأغلبية ·

الا أن هذه السياسة أدت الى مساوىء أهمها : ضعف الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية وبواعث الرقى الاقتصـــادى فضلا عن الضغوط والتعقيدات الادارية وتحكم البيروقراطية وضيـــاع الحرية الشخصية التى هى جوهر الحياة الانسانية ·

أما وسطية الاســـلام فقوامها حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة : **« لا تظلمون ولا تظلمون »**(١) ·كما جاء فى القرآن الكريم وهو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فى القاعدة الشرعية القويمة : « لا ضرر ولا ضرار » التى تصلح أساسا لكل سعى الانسان فى الحياة ·

وقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المثل فى التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة فى قوله : « ان قوما ركبوا سفينة فاستهموا فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقالوا له : ماذا تصنع ؟ قال : هذا مكانى أصنع فيه ما أشاء فان أخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا »(٢) ·

ويحرص الاسلام على هذه الوسطية التى تجعل الحياة تمضى فى تناسق وسلام مع النفس ومع الناس وتجمع بين الفكر والاعتقاد وبين الخلق والعمل ولا تفرق بين الأخلاق الشخصية والمعاملات الاجتماعية وترفض ازدواج الشخصية أو تناقضها فلا ترضى أن تكون للشخص حياة عقلية مؤمنة وحياة خلقية كافرة أو فاسقة أو تكون له حياة خاصة يفعل فيها ما يشاء من الفحشاء والمنكر وحياة عامة يزعم أنه يلتزم فيها حدود الفضائل والعدالة ·

هذا التفريق لا يعترف به الاسلام الذى يهتف قرآنه بقول العليم الحكيم : **« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون · كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »**(٣) ·

---

(١) البقرة : ٢٧٩

(٢) من بحث للدكتور شوقى الفنجرى بالعدد ٢٠٦ من مجلة العربى الكويتية ·

(٣) الصف : ٢ ، ٣

« وهذا أمر معقول فى دين كالاسلام يدعو الى اعتناق مذهب وحدة الحياة وامتدادها الى الأبد بعد الموت فى الدار الآخرة ، وبالتالى يدعو الى وحدة العمل ويجعله كله من العبادة سواء أكان عملا للمعيشة هنا فى الدنيــا أم للعيش هناك فى الآخرة ، فلا يقول هذا عمل دنيوى وذاك عمل أخروى ، بل يقول فى كل أنواع العمل : هذا عمل صالح ينفع الناس ويمكث فى الأرض لامداد الحياة بمدد الخير ، فهو اذن عبادة سواء أكان فى ظاهره للدنيا أم للأخرى ، وهذا عمل فاسد يؤذى الحياة ولا يمدهــا بخير ، فهو اذن كفر أو فسق ، سواء أكان ظاهره عملا دنيويا أم أخرويا .

ومن هنا قرر الاسلام أن كل الأعمال واللذات الطيبة يجوز أن تتحول الى عبادة اذا قدمت أمامها النية الخالصة فى حفظ هبة الحياة والانتفاع بها واحترام ارادة واهبها »(١) .

واذا كان الايمان هو روح العمل وسره فان العمل هو جسم الايمان وشكله والفصل بينهما لا ينتج الا صورا من الحياة ناقصة أو مشوهة أو جافة أو عقيما .

فالذى يؤمن ولا يعمل يعيش فى فراغ وتجريد وعجز .. ولا حصيلة واضحة لحياته ولا دلالة واضحة على ايمانه ، والذى يعمل بدون ايمان يعيش كالآلة بدون روح يلهمه ويؤنسه ويسدده ويدفعه ولا يحس ما وراء العمــل من قيم خلقية وانما يحس ذلة السخرة وغموض السر فى أعباء الحياة التى تمضى به بدون تفسير يعمر قلبه بالطمأنينة والسكينة والفهم .

ويقرر الاسلام أن حياة الايمان بدون عمل هى عقيم كحياة شجر بلا ثمر فهى حياة تثير المقت الكبير لدى واهب الحياة الذى يريدها خصبة منتجة كثيرة الثمرات .

كما يقرر الاسلام أن العمل بدون ايمان جهد ضائع على صاحبه وهباء منثور كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف . يقول القرآن الكريم : **« مثل الذين كفروا بربهم ، أعمالهم كرماد اشتدت به الريح**

---

(١) المــادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف ص ١٦٣

فى يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شىء »[1] • ويقــول : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »[2] •

ويحدثنا الدكتور محمد عبد الله العربى رحمه الله فى بحثه المقدم للمؤتمر الاسلامى الثالث لمجمع البحوث الاسلامية عن الغاية من العمل فى الاسلام فيقول :

«كل منتج لسلعة أو لخدمة — فى النظام الرأسمالى — يحرص على أن يقتضى من المجتمع الذى يشتريها منه أقصى ربح ويضع فى تدبيره عند تحديد ثمن السلعة أو الخدمة بلوغ هذا الهدف غير قانع بربح معقول فوق تكاليف الانتاج • هذه هى العلة البارزة فى كل صور النشاط الاقتصادى فى النظام الرأسمالى ، والتى تولدت منها المساوىء التى رأيناها كالامعان فى الاحتكار واستغلال المستهلكين بالغش والخداع أو الاعلان الكاذب واستغلال العمال الأجراء بتخفيض أجورهم الى الحد الأدنى والتآمر على شراء المواد الخام اللازمة للصناعة بأبخس الأثمان •• والامعان فى التصنيع الحربى لأن المصنوعات الحربية تؤتى ربحا يربو على ربح المصنوعات السلمية أضعافا مضاعفة ، ثم التآمر على خلق مجالات لاستعمال حكوماتهم لهذه المصنوعات حتى لا ينقطع الطلب عليها •

وكذلك سياسة الانتاج لا يبتغى بها فى الاقتصاد الرأسمالى سداد أهم حاجات المجتمع بقدر ما يبتغى بها الحصول على أكبر ربح ، فهم يسارعون من أجل ذلك فى انتاج السلع وانجاز الخدمات التى تلبى مطالب أقدر المستهلكين على دفع أعلى الأثمان • فاذا نظرنا الى ثمرة هذا النشاط الاقتصادى وما فاء به على العامل ، كيف يكون تصرفه فى هذه الثمرة ؟ كيف يرسم العامل سياسة انفاق دخله ؟ لا نجد هنا أى قيد عليه من دين أو قانون الا ما تمليه شهواته أو غروره بعكس ما تقضى به تعاليم الاقتصاد الاسلامى •

والعمل فى المنهج الاسلامى بمعناه العام ينصرف الى أهم جوانب هذا المنهج ، أى أنه أهم نشاط للمسلم فى هذه الحياة الدنيــا •• لذلك

---

(١) ابراهيم : ١٨ (٢) الفرقان : ٢٣

ورد ذكره فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة وقرنه بالايمان ، فكلما ذكر الايمان ذكر معه العمل الصالح ، أى أن الاسلام يشترط دائما ترجمة ايمان المسلم الى عمل صالح وفى آيات أخرى ينبئنا العليم الحكيم أنه سبحانه خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا فى هذه الحياة .

فكيف يكـــون عمـــل المســـلم عند الله ؟

يكون عمله حسنا عند الله اذا ابتغى به رضـــاء الله ولن ينال أحد رضاء الله الا اذا التزم هدايته ، وهداية الله على لسان رسله الى البشر تتلخص فى توجيه الانســـان الى تحقيق فلاح الدارين .. الدنيـــا والآخرة .. اذن العمل فى الاسلام فى كل أوضاعه وألوانه له هدف واحد ، هدف مشترك لكلياته وجزئياته هو تحقيق فلاح المسلم فى الدنيا والآخرة .

ونحن فى هذا البحث نعالج جزءا محدودا من عمل المسلم ، نشاطا واحدا من بين أنشطته الكثيرة هو نشاطه الاقتصادى . ولمـــا كان الهدف من عمل المسلم فى مجموعه هو تحقيق فلاح الدنيا والآخرة فالجزء من الكل يلتزم بالبداهة نفس الهدف وكما تسرى تعاليم الاسلام على الكل تسرى على هذا الجزء بالذات . اذن النشاط الاقتصادى فى الاسلام مفروض فيه فرضا حتميا أن يلتزم الهداية الالهية المتمثلة فى تعاليم الاسلام وفى مقدمتها القيم الخلقية التى فرضها القرآن وفصلتها السنة .

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »(١) .

« وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون »(٢) .

« ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون »(٣) .

---

(١) المؤمنون : ١ ــ ١١
(٢) المـــائدة : ٣٥
(٣) الروم : ٣٨

والنشاط الاقتصادى الذى يباشره المسلم هو بضعة من هذا العمل الذى يؤدى الى الفلاح المنشود .. فلا غرو أن يكون سعيه فيه متجها الى هذا الهدف .

ويجب أن نقرر أن مطلب « الفلاح » هذا يتجاوز فى مداه مطلب « الرخاء » الذى تدعو اليه بعض المذاهب فى الاقتصـــاد المعاصر ذلك أن الرخاء عندهم هو مطلب مادى بحت وفى أحسن معانيه يشير الى صلاح أمور هذه الحياة الدنيا . أما مطلب « الفلاح » فى الاسلام فيجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة . ذلك لأن الآخرة عند المسلم حقيقة ثابتة والدنيا عنده مزرعة للآخرة . فكان من الطبيعى أن يجعل سعيه فى الدنيا يتفق مع طلب الفلاح فى الآخرة وأن يربط بين فلاحه الدنيوى وفلاحه الأخروى فى اطار واحد برباط وثيق ومن هنا كانت الاختلافات بين النشاط الاقتصادى الاسلامى والنشاط الاقتصادى المعاصر اختلافات جوهرية »[1] .

ويزيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا فى أمر العمل فى الاسلام فيقول : « ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد الا كان له صدقة » .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر المسلم بزرع الفسيلة[2] ان وجدت فى يده وقت قيام الساعة .. وهكذا يوضح لنا الرسول ويبين ما جاء فى القرآن الكريم من أهداف الحياة على هذه الأرض وما أمر الله به الانسان من اعمارها واستخراج خيراتها الظاهرة والباطنة التى أودعها الله فيها والتعرف على الخالق العظيم فى أسرار مخلوقاته .

ويحفزنا الرسول الى الجد فى العمل لأن كل عمل لله يدخر لنا الله من أجله الأجر الكريم وهو القائل جل ثناؤه : **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »[3]** .

وفى الدعوة للعمل الجاد لاعمار الأرض يقول المولى عز وجل : **« فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »[4]** .

---

(١) ص ٢٩٧ ، ٢٩٩ من كتاب المؤتمر

(٢) الفسيلة الجزء من النبات يقطع من أصله ليعاد زرعه .

(٣) التوبة : ١٠٥ (٤) الجمعة : ١٠

« وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم »[1] .

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »[2] .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله »[3] .

وفضل الله ورزقه سبحانه فى هذه الآيات وغيرها كثير ينبه الانسان الى الصلة القائمة أبدا بين الساعى الى الرزق والرزاق الكريم ، والمزاوجة الأبدية بين الروح والمادة فى كل تكاليف الاسلام .

والرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلم يلخص كل ذلك فى حديثه الشريف عندما رأى صحابته يوما ينظرون الى شاب يسرع الى العمل فقالوا : « لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال لهم : لا تقولوا هذا .. فان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » .. فاذا كان الله غايتنا فى كل سعى فى الحياة فلنبشر ولنستمع ونؤمن ببشارة الرسول الكريم : « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله وجهه كالقمر ليلة البدر » .

واذا كان الله غايتنا فلتكن هممنا عالية تتسق مع هذه الغاية التى ليس وراءها غاية ولا نخشى شيئا لأن الله لا يتعاظمه شىء والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بشارته لنا فى قوله : « سلوا الله الدرجات العلى ، فانما تسألون كريما واذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فان الله لا يتعاظمه شىء » .

* * *

---

(١) الاسراء : ١٢ (٢) الملك : ١٥

(٣) الجاثية : ١٢

حوافز العمـــل

لقد رأينا عظم الغاية من العمل فى الاسلام وقد كان لابد للمسلم كى يسعى جاهدا الى غايته العظمى من ضمانات أو حوافز تدفعه وتهديه الى الطريق المستقيم الذى يؤدى به الى هذه الغاية .

واذا كانت النظم الاشتراكية تلتزم بتوفير فرصة العمل لكل مواطن ليشعر بالأمن والاطمئنان الى سبل الرزق فان القرآن الكريم من ألف وأربعمائة عام مضت وقبل ظهور التطبيقات الاشتراكية المتعثرة يقول :

« وفى السماء رزقكم وما توعدون »(1) .

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »(2) .

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم »(3) .

وغير ذلك كثير من آيات القرآن التى تهدف الى تأمين الانسان على حياته فيسعى ويدخل فى مجال السعى والعمل وهو مطمئن آمن لا يساور نفسه قلق وخوف وبذلك يكون ايجابيا فى سعيه وعمله ومتقنا ومجيدا لهذا العمل موقنا بصدق وعد الرزاق : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »**(4) .

والاقبال على العمل واجادته هما أقصى ما يرجى من الانسان لأنه فى العمل وحده تتجلى انسانيته ويظهر فيه ابداعه .

ولم يكن اسناد الرزق الى الله تعالى فى مثل هذه الآيات دعوة الى التواكل والتقاعد به هى دعوة للعمل لأن القعود عن السعى يضاد قانون الحياة الانسانية ويضاد الرسالة التى طلب من الانسان أداؤها .

والاسلام فى ذلك يدعو الفرد لبذل الجهد وافراغ طاقاته التى وهبها الله له ليعمل فى حدود امكاناتها لا أن ينتظر من الدولة أن تدبر له كل أموره كما فى النظام الاشتراكى الذى حاول أن يطبق أحلامه ونظرياته

---

(1) الذاريات : ٢٢ — (2) هـود : ٦

(3) العنكبوت : ٦٠ — (4) الأعراف : ٩٦

الخيالية ففشل رغم مذابح لينين وستالين فى روسيا عندما حاولا تطبيق الشيوعية التى تنادى بالمساواة فى الأجر بين الجميع أو كما يقولون : « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » •• حتى اضطر ستالين أن يقرر فى مؤتمر الانتاج الذى عقده سنة ١٩٣١ بأن : « سير التقدم قد تعثرت خطاه نظرا للطريقة التى يسير عليها العمال من اهمال وتكاسل نظرا لاطمئنانهم الى المساواة فى الأجور •• » وقال : « اذا أردنا المقدرة الصناعية فلابد أن يكون الأجر على درجات تحدد الفروق بين العامل الحاذق وغير الحاذق والعامل المجتهد والعامل البليد ويجب أن يحدد الأجر لا بحسب حاجة العامل بل بحسب ما أتم من عمل » •

وبعد حملة تطهير أخرى دامية وقف ستالين سنة ١٩٣٤ يتحدث عن معارضيه قائلا : « ان هؤلاء القوم يحسبون أن الاشتراكية الشيوعية تستلزم المساواة فى الأجر ، ألا ما أسخفه من رأى ؟ ان المساواة التى نادوا بها أضرتنا أكبر الاضرار »(١) •

ولقد اتجهت روسيا بعد ذلك الى اقتباس النظم الرأسمالية لحفز عمالها الى تجويد وزيادة الانتاج وقد لخص كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب المنعقد فى سبتمبر سنة ١٩٦٥ ما يراه من أسس جوهرية لهذا التطوير الجديد على الوجه الآتى :

١ ـــ الاهتمام بالحوافز المادية على نحو أكثر فعالية ، بحيث يشعر العامل بأثر العائد المادى فى حياته المعيشية مباشرة ويجب أن يرتبط الحافز المادى بانتاجية العامل الفعلية •

٢ ـــ الاهتمام بعنصر الربح ، لا باعتباره مكسبا خاصا لأصحاب المال والحافز الوحيد لهم كما هو فى النظام الرأسمالى بل باعتبار أن الربح يشكل معيارا ـــ فى حالات كثيرة ـــ يقاس به نجاح المشروعات الصناعية •

٣ ـــ ضمان وتأكيد مبدأ الادارة الذاتية لكل فرع من فـــروع الصناعة واعتبار الادارة الذاتية جزءا لا يتجزأ من التنظيم الاقتصادى •

---

(١) ص ٢٨٩ من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة •

٤ ـ الاهتمام الجدى بحساب التكاليف تجنبا لما يحدث من ضياع وزيادة فى التكلفة الانتاجية بغير مبرر(١) •

لكن الاسلام حين يدعو الانسان لأن يسعى ويكد ويشقى فى سعيه يحفزه الى ذلك بالحوافز التى تتفق ومنهجه الأخلاقى ودعوته التى تحكم الصلة بين العبد وربه •

ويبدأ الاسلام دعوته ببيان شرف العمل وما فيه من خير ولذة من لذات الحياة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » •

هل جربت يا أخى طعم الراحة بعد التعب والشبع بعد الجوع والنوم بعد السهر ؟

ان الذى يعيش فى فراغ وراحة اذا ذهب الى فراشه لا ينام بل يتقلب على جمرات من النار بينما هذا العامل المتعب ينام ويستغرق فى النوم وتشعر كل عضلة فى جسده بلذة الراحة فيقدر نعمة النوم ••
وان اللقمة التى تأكلها بعد جوع مهما كان نوعها أو قلة غذائها أو رخص ثمنها لهى أشهى وأحلى لقمة تدخل جوفك •• وان صائم رمضان ليدرك هذا المعنى عند افطاره ويدرك ادراكا واعيا حقيقة معنى الحديث الشريف الذى يحضنا على العمل لنعرف ونتذوق أنعم الله ونقدرها •

ويقول الله عز وجل مخاطبا آدم عليه السلام عندما أهبطه الى الأرض : **« ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى »**(٢) وهذا وعد من الله وعلى الدولة المسلمة أن تقوم على تنفيذه فتضمن الضرورات الأساسية لحياة الانسان المسلم من مأكل وملبس ومسكن حتى يمضى حياته مطمئنا آمنا •

واذا قال القرآن الكريم : **« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون »**(٣) فانه يقرر سنة من سنن الكون الثابتة فى الحياة والتى عجزت كل النظم الوضعية عن تغييرها • فالكل مسخر للكل •• العامل مسخر للمهندس

---

(١) ص ٢٩٠ من المرجع السابق •
(٢) طه : ١١٨
(٣) الزخرف : ٣٢

وصاحب العمل والمهندس مسخران للعامل وصاحب العمل مسخر لهما يدبر لهما الأموال واحتياجات العمل ورئيس الدولة مسخر لرعيته يخدمهم ويسعى لرفاهيتهم ولولا هذا التسخير لما دارت عجلة الحياة .

والذى خلق الحياة وأراد لها البقاء لم يخلق الناس نسخا مكررة بل هناك كفاءات واستعدادات متفاوتة .. هناك ذو الذكاء أو صاحب الصوت الجميل أو القدرة على العمل اليدوى .. الخ .

ومن هذا التفاوت فى الاستعداد تتفاوت النسب فى الرزق وقد تختلف هذه النسب من مجمتع الى مجتمع آخر لكنها موجودة فى كل مكان حتى أن بعض المجتمعات الاشتراكية تصل النسبة فيها بين أكبر مرتب وأصغر مرتب الى خمسة وثلاثين ضعفا . لأن هذه المجتمعات لم تستطع أن تساوى بين العامل والمهندس ولا بين الجندى والقائد فأعطت كلا حسب مسئوليته وحسب اجتهاده .

وذلك كله شأن الرزق والمعاش فى الدنيا وهى قيم ضئيلة جد ضئيلة عند الله .. «ورحمة ربك خير مما يجمعون» .. فهى لمن هو أهل لها ولا علاقة بينها وبين عرض الدنيا ومتاعها الزائل .

ومع ذلك فالاسلام يضع أجر العامل فى مرتبة من القداسة كبيرة ويتوعد الله من يأكل حق العامل بأشد العذاب فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن رب العزة : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » ..

ويمضى الاسلام فى رعاية العامل وتوفير الحقوق والضمانات له حتى بلغ أقصى المدى فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما فان لم يكن له مسكن فليتخذ مسكنا أو ليس له دابة فليتخذ دابة » .. وذلك كان بيت مال المسلمين يعين غير المتزوج على الزواج وفى هذا الحديث ما يشير أيضا الى توفير وسيلة المواصلات الى جانب سبل العيش المعقول الذى ييسر حياة العامل ..

وهناك ما يدعو الى تحديد ساعات العمل أو تقرير الأجر الاضافى

فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تكلفوهم — العمال — من العمل ما لا يطيقون فاذا كلفتموهم فأعينوهم » •

كل هذه الرعاية ليتقن العامل عمله فى رقابة من ضميره ودينه •• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا عمل أحدكم عملا أحب الله أن يتقنه » •

واذا أتقن عمله فقد تحسن أجره وزاد دخله من عمله الذى هو فريضة على المسلم بعد الفريضة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم •

« لأن المسلم مكلف بالانفاق على نفسه ثم بالانفاق على أسرته ومن يعولهم ثم بالادخار لأحداث الزمن ثم بالانفاق فى سبيل الله وخدمة المجتمع • فهذه تكاليف أربعة وهى ليست مجرد تكاليف أدبية بل كثيرا ما ترقى الى تكاليف شرعية قابلة للتنفيذ عليه من جانب ولى الأمر •

يقول الشاطبى فى موافقاته فى الجزء الثانى بصدد بيان التكاليف العينية على المسلم :

« انها تكاليف عينية ، فهو مأمور بحفظ دينه اعتقادا وعملا ، وبحفظ نفسه قياما بضرورية حياته ، وبحفظ عقله حفظا لمورد الخطاب من ربه اليه ، وبحفظ نسله التفاتا الى بقاء غرضه فى عمارة هذه الدار •• وبحفظ ماله استعانة على اقامة تلك الأوجه الأربعة • ويدل على ذلك أنه لو فرض اختيار العبد خلاف هذه الأمور لحجر عليه وحيل بينه وبين اختياره • فمن هنا سار فيها مسلوب الحظ ، محكوما عليه فى نفسه ، وان صار له فيها حظ فمن جهة أخرى تابعة لهذا المقصد الأصلى » •

ازاء هذه التكاليف فرض الاسلام على المسلم الجد فى اختيار خيرات الأرض التى استخلفه الله فيها لتعميرها واستثمار ما فى باطنها وظاهرها وحثه على طلب الرزق وابتغاء المزيد منه ونهى المسلم عن الاستكانة للفقر ما دام فى طاقته أن يتخلص منه ويرتقى الى مراتب الغنى • ولكنه فى نفس الوقت يحذر المسلم من أن يجعل كسب الغنى غاية فى ذاته ، اذ هو مجرد وسيلة الى غاية ، الغاية العليا أو الهدف

المشـــترك الذى قلنـــا انه ابتغاء وجه الله وفلاح المسلم فى الدنيـــا والآخرة »[1] .

يقول تعـــالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »[2] .

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »[3] .

« وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم »[4] .

وقد استعاذ رسول الله من الفقر وقال : « كاد الفقر أن يكون كفرا » كما قال عليه الصلاة والسلام : « اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم » .

وهكذا يمضى الاسلام فى هذا الربط الكريم بين الدنيا والآخرة وفى جعل جوافز النفس للعمـــل أرقى من حوافز المـــادة لأنهـــا تربطـــه بالأشواق العليـــا والتطلعات السامية لمـــا هو خير وأبقى ونلمس هذا الميزان الدقيق الذى ينفثه القرآن الكريم فى وعى المسلم ووجدانه حتى لا تطغى احدى كفتى الميزان على الأخرى وحتى يكون أمره كله لله دائما :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »[5] .

وفى ختام هذا الباب لا يفوتنا أن نذكر عاملا هاما من حوافز العمل يتعلق بواجب فرضه الاسلام على صاحب العمل وولى الأمر يشعر العامل بأن عمله مقدر وأن اجتهاده يلقى الجزاء الأوفى ذلك هو واجب توسيد العمـــل للرجل الذى يجيـــده أو بلغة العصر « أن يكون المكان المناسب للرجل المناسب » .

---

(١) ص ٢٩٩ من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية من بحث الدكتور عبد الله العربى .

(٢) الملك : ١٥ — (٣) البقرة : ١٩٨

(٤) الاسراء : ١٢ — (٥) الجمعة : ٩ ، ١٠

وهو ما تكشف عنه قصة يوسف عليه السلام كما أوردها القرآن الكريم •• فبعد أن ذكر يوسف تأويل رؤيا الملك عن **« سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابســات »**(١) ثم أشــار بما يجب اتخاذه من تدابير لتفادى الكارثة المحتملة وأعوام القحط المقبلة •• رأى الملك أن يعهد اليه بوضع الخطة اللازمة للأمر والاشراف على تنفيذها : **« وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين »**(٢) •

فلما قبل يوسف المهمة **« قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم »**(٣) •

لقد أدرك يوسف خطورة المسئولية الملقاة على عاتقه وهى تجنيب البلاد مخاطر المجاعة فطالب بتمكينه من أداء هذه المهمة الخطيرة واطلاق يده فى التدبير **« اجعلنى على خزائن الأرض »** •• وهو ما يجب أن يكون فى علاقة العامل برب العمل ••

ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عدم اختيار الأكفأ هو خيانة لأمانة المسلمين وغش للأمة فيقول : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » ••

بل انه جعل ذلك من أشراط الساعة عندما سأله رجل : متى تقوم الساعة ؟ فقال : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » ، فقال الرجل : وكيف اضاعتها ؟ قال : « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » •

* * *

---

(١) يوسف : ٤٣ ، ٤٦

(٢) يوسف : ٥٤

(٣) يوسف : ٥٥

شروط العقد

لقد كان الاسلام نقطة تحول خطيرة فى تاريخ البشرية بما حمله اليها من مبادىء جديدة كل الجدة بل بما أحدث من ثورة كبرى فى تصور الناس للقيم والمبادىء الانسانية • جاء الاسلام ونظام الرق معترف به فى العالم كله كما كان الرق أساس الاقتصاد فى هذه الدنيا •• فالاغريق أباحوا الرق والامبراطورية الرومانية بنيت على الرق •• وكان السيد يشترى الأرض بمن عليها من عبيد والعبيد هم القوة العاملة فى معظم الدول والسادة عليهم الحرب والدفاع عن الدولة •• والسادة هم المهيمنون على مصائر الناس جميعا لهم التوجيه وعلى الناس الطاعة دون فهم أو مناقشة أو حتى حق السؤال •

وظلت أوروبا ترزح تحت نظام الاقطاع حتى العصر الوسيط وعندما اكتشفت أمريكا لم تستغل اقتصاديا الا بملايين العبيد الذين جلبتهم العصابات البيضاء من افريقيا السوداء وظل نظام العبيد بها الى ما بعد عام ١٨٦٠ عندما حاربت الولايات الشمالية من الولايات المتحدة بزعامة ابراهام لنكولن ولايات الجنوب من أجل الغاء الرق فى أمريكا الذى اتخذ بعد ذلك صورا أخرى ما زالت تمارس حتى اليوم •

وفى بلادنا عندما ضعفت روح الاسلام فى النفوس وتراجع الوازع الدينى فى القلوب شاهدنا حتى عهد قريب ألوانا من العبودية تقشعر منها الأبدان مما تحاول الدول الحد منه بتشريعات العمل المختلفة التى تحدد ساعات العمل وأدنى أجوره ، ويتحدد هذا الحد الأدنى للأجور فى كثير من البلاد دون نظر الى حاجات الآدمى الضرورية وما يحفظ عليه كرامته • بينما يروى لنا التاريخ أن رجلا ذهب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشكو عماله لأنهم سرقوا بعض ماله لكن عمر عندما علم أن هؤلاء العمال انما سرقوا لأن صاحب المال لا يعطيهم الحاجة وما يكفى ضروراتهم صاح بصاحب المال : « أيها اللص اذا عاد هؤلاء الى السرقة قطعت يدك أنت » ••

وكان فى مصر — منذ زمن غير بعيد — قانون يبيح استخدام العامل بدون أجر تحت الاختبار لمدة ستة أشهر وأعلم أن صاحب ملايين كثيرة

أنشأ المصانع وضخم ثروته أضعافا مضاعفة بفضل هذا القانون وأصبح مصنعه الصغير للنسيج بالقاهرة عدة مصانع للغزل والنسيج بالقاهرة والاسكندرية .

لقد كان هذا اللص يستخدم العامل بدون أجر لمدة خمسة أشهر أو ستة أشهر الا بضعه ايام ثم يفصله من العمل بحجة أنه غير صالح مستحلا عرقه ودمه (١) .

وكانت الحكومة اذا أصدرت قانونا ليسكن من ثورة هذه النفوس البشرية كأن تجعل للعامل حقا بعد كذا من السنين فى مكافأة أو معاش تسارع بعض الشركات الفاجرة الى طرد عمالها القدامى حتى لا ينالوا حقهم وحتى يذلهم الجوع ثم يتفضل أصحاب الشركات بعد ذلك باعادة من يشاءون منهم بصفتهم عمالا جددا .. أى بعد أن يغتصبوا حقهم الذى قرره لهم القانون ..

أما النقابات .. فكم من النقابات شكلت مجالس ادارتها بانتخاب الأعضـــاء الذين رشحتهم الادارة أو رشحهم صاحب العمل فأصبحت النقابة التى فرض فيها الدفاع عن حق العامل مطية لصاحب المـــال وحربا على العامل المسكين .

لكن الاسلام الذى نزل رحمة للعالمين بدأ منهاجه فى العمل باجتثاث تلك القواعد التى تقر التمييز الطبقى بين الناس على غير أسس من عمل صالح فنرى القرآن الكريم يعتب على الرسول صلى الله عليه وسلم أشد العتب لاعراضه عن فقير أعمى جاءه يستشيره فى أمر دينه لانشغاله بدعوة بعض سادة قريش الى الاسلام .. فيقول الحق تبارك وتعالى :

« عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى . كلا انها تذكرة »(٢) ..

وهكذا يرسم القرآن فى قوة الخطوط الجديدة للقيم الانسانية ..

---

(١) من كتاب نظرية الاسلام الاقتصادية للمؤلف .
(٢) عبس : ١ ــ ١١

فليس الأمر أمر غنى المـــال أو عزة الجاه أو العصبية ‥ كلا ‥ ان الله يريد الذين يبتغون وجهه ويلتمسون الراحة عنده « والتائهين الذين يبحثون عن مرفأ والخائفين الذين يبحثون عن مأمن والمستضعفين الذين يبحثون عن ملاذ والبسطاء الكادحين المـــالئين حياتهم بالعمل والعناء ‥ أولئك الذين من أجلهم رفعت راية الله فى الأرض لتظلهم تحتها ولتعلن قيام عالمهم وبعث أيامهم وزحف صفوفهم ‥ »(١) ٠

« وما يدريك لعله يزكى » ٠

أجل ‥ لعله أقرب الى الله من كل عتل متكبر أو غنى مستعل ‥ ولم لا ؟ ألم يتقدم هذا المجتمع الفاضل بلال وصهيب وخباب واخوانهم البسطاء والفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حققوا معجزة القرآن وأخرجوا للعالم خير أمة شهدتها الأرض ؟

وهم أنفسهم الذين كان يجلس محمد صلى الله عليه وسلم ليشاورهم فى الأمر وفيهم العبد والعامل الفقير « لأن النوع الانسانى لم يوجد لتنشطر صفوفه الى أغنياء وفقراء ‥ ولا الى سادة وعبيد ‥ ولا الى أقوياء وعجزة ‥ ولا الى رعاة وسوائم ‥ انما وجد ليتحرك صفا واحدا داخل خطوط متكافئة من القدرة والسيادة والكفاية » ٠

أما التفضيل الذى ذكره الاسلام فليس بما يملك الانسان من مال بل بالعمل الدائم فى صدق وشوق لتحقيق الخير والكمال وعلى قدر نصيب كل فرد فى هذا العمل الجامع والسعى المشترك يكون قدره فى المجتمع ومكانته لدى العليم الخبير القائل : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٠ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٢) ٠**

وهكذا يحتم الاسلام على المسلمين أن يحققوا كفايتهم من كل أنواع العمل وقد تحقق ذلك فى مرحلة من مراحل حكم الاسلام فساد المسلمون وكان أرقى مستويات العلم والفنون فى العالم الاسلامى وصار العالم كله عالة على جامعات المسلمين يلتمسون لديهم نور العلم والمعرفة وهو ما يجب أن نسارع اليوم لاستكماله كما أمر بذلك الدين الذى جعل

---

(١) « كما تحدث القرآن » لخالد محمد خالد ص ٥٨

(٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » وطالبنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتماس العلم فى كل مكان « ولو بالصين » أى ولو بأقصى الأرض .

والاسلام فى ذلك لا يألوا جهدا فى تشجيع أفراده على العمل وبذل الجهد لتحقيق الرفعة للمسلمين ولذلك كان من أهم ما عنى به فى باب العمل هو تنظيم العلاقة بين العامل وصاحب العمل على أسس سامية ودقيقة تحفظ لكل ذى حق حقه وتمنح العامل فرصته للتجويد والاتقان فى ظل الضمانات التى كفلها له الاسلام ليعيش فى أمن وسلام .

ولما كان تعريف العمل أنه « بيع منفعة » هو نفس تعريف الاجارة شرعا كما قدمنا فانه يلزم لذلك أن يتضمن عقد العمل الاسلامى :

١ — صيغة الايجاب والقبول من طرفى العقد .

٢ — تحديد الأجر .. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استأجر أجيرا فليسم له أجره » لأن ذلك أدعى لطمأنينة العامل ولانتفاء الغرر وأسباب النزاع .

٣ — المنفعة وهى محل العقد والمقصود بها فى عقد العمل نوع العمل أو ماهية العمل الذى سيقوم به العامل .

٤ — وفى حالة الأجير الخاص — كأن يستأجر شخص كاتبا لأعماله أو محاسبا أو طبيبا للعناية بصحته — أو كان عمل الأجير غير محدد كمن يقومون بمختلف الأعمال التى توكل اليهم من حراسة أو نقل فيجب أن يكون العقد فى هذه الحالة من عقود المدة ويستحق العامل الأجر سواء عمل أو لم يعمل[1] .

٥ — يأخذ الاسلام بمبدأ أجر المثل وهو الأجر الذى يقدره أهل الخبرة وذلك درءا للمظالم .

٦ — كفاية الأجر : والاسلام حريص على تحقيق هذا الشرط بكافة السبل لما فيه من نفع للعامل فى دينه ودنياه ونفع للأمة كلها .

ولايضاح ذلك نبدأ بذكر ما يقرره رجال الاقتصاد الحديث الذين يقولون بأن : « السوق المحلية هى أضمن الأسواق » .. لكن كيف نضمن أن تقوم هذه السوق بوظيفتها كأكبر عميل لانتاج الدولة ؟

---

(١) ص ١٢٩ من الجزء الثانى من صحيح البخارى المفسر .

لا شك فى أن الطبقة العاملة فى أى مجتمع بشرى تمثل الأغلبية الساحقة من هذا المجتمع سواء أكانت هذه الطبقة من عمال المصانع أو عمال المزارع أو من الطائفتين معا •• والعمال بهذه الكثرة يمثلون القوة الشرائية التى يوجه اليها الانتاج فى الدولة •

وفى ظل الرأسمالية يكون العمـال أجراء لرأس المـال ويحرص أصحاب المـال على ابقاء مستويات الأجور عند الحد الذى يكفل بقاء العامل قائما بواجباته ولا تصل الأجور الى أى مستوى يؤثر فى الفواصل بين طبقات المجتمع •

ونحن جميعا نلمس فشل النظام الرأسمالى فى تحقيق عدالة التوزيع فى الدخول التى ترفع القوة الشرائية لدى أغلبية الشعب كما فشلت أيضا فى رفع نير البطالة عن المجتمع •

ويقول اللورد كينز فى كتابه « النظرية العامة » :

« ان أهم الأخطاء البارزة فى اقتصادنا المعاصر اثنان هما : أولا : الفشل فى تحقيق العمالة الكاملة • وثانيا : التوزيع الحكمى الغاشم لكل من الثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة ••

وقد شهدت انجلترا تقدما هائلا فى نظم الضرائب من حيث عدالة توزيع أعبائها على كل من الدخل والثروة كما استحدثت من الضرائب على الايرادات والتركات ما كان جديرا به أن يقرب بعض الناس من بعض •• لكن هذا لم يحدث بالقدر الكافى »[1] •

ويرى اللورد كينز بعد ما عرض المشكلة أن الحل الأمثل لتحقيق العمالة الكاملة هو تخفيض سعر الفائدة على النقود لتشجيع الاستثمار الذى تستتبعه زيادة فى فرص العمل وهو الأمر الذى لم يتحقق حتى الآن بل العكس هو الصحيح اذ أن العالم يشاهد فى هذه الأيام — عام ١٩٧٧ — ارتفاعا متواصلا فى سعر الفائدة •

أما فى ظل الشيوعية فالأجير هو الأجير بفارق أنه فى ظل الشيوعية أو أنماط الاشتراكية المختلفة يستبدل بسيادة الممول سيادة الدولة ولم

---

(١) ص ١٥٩ من بحث الدكتور عيسى عبده ضمن كتاب مختارات الاذاعة المصرية لسنة ١٩٦١ •

يتحسن وضع الأجير فى ظل العقود الجماعية عنه فى ظل عقود العمل الفردية .

بينما يرى الاسلام أن حل هذه المشكلة وتحقيق سعة السوق المحلية هو فى التقريب بين الناس — الذى تمنى لورد كينز أن يراه حقيقة فى حياته دون جدوى — .. وهو ما يحقق رفع دخول الأفراد وبالتالى مستوى معيشتهم فيزيد استهلاكهم وبالتالى يزيد الانتـاج ويتحقق الانتعاش الاقتصادى وفرص العمل للجميع .

وسبيل الاسلام الى ذلك ذو ثلاث شعب :

الأولى : قانون المواريث — لا ضريبة التركات — الذى يعمل على تفتيت الثروات وتوزيع المتكدس منها على أعداد متزايدة من العباد .

الثانية : زكاة المـال وهى ٥ر٢ ٪ من رأسمال التجارة أو المدخرات و ٥ ٪ من ناتج الزراعة ذات التكلفة أو ١٠ ٪ من ناتج الزراعة المطرية و ٢٠ ٪ مما تخرج الأرض من المعادن وغير ذلك من صنوف الزكوات المفصلة فى كتب الفقه والتى يرى الاسلام أن توزع على المستحقين فى نفس موطن تحصيلها ليتحقق التكافل الاجتماعى بين أهل القرية مثلا وتتحقق المودة بين الناس .

وأول مصارف الزكاة هم الفقراء والمساكين لينالوا حظهم من طيبات الحياة .

الثالثة : قداسة أجر العامل حتى ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره »(١) .

وهذا الأجر الذى يقدسه الاســلام ليس ما يجود به صاحب العمل أيا كان بل حدد له الاسلام حدودا ورسم له قواعد أدناها أن يكفل حاجات الحياة الضرورية للعامل من مأكل وملبس ومسكن .

والاسلام فى ذلك يقرر أن المعطى اذا أعطى فهو يعطى من مال الله والآخذ انما يأخذ من فضل الله .. يقول تعالى: « والأرض مددناهـا

---

(١) رواه البخارى .

وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيـــج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد • والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج »[1] •

لأن الاسلام يحارب الفقر الذى يمتهن كرامة الانســـان ويزرع الحقد فى القلوب ويوهن العلاقات بين الناس بل ويزعزع الايمان فى النفوس •

ويحدثنا الأستاذ عبد المنعم خلاف عن ذلك فى كتابه « المـــادية الاسلامية وأبعادهـــا » فيقول :

« والذين يريدون أن يأخذوا جماهير الناس بيسر وسهولة الى الايمان الفطرى بالله الخالق ورحمته وعدله لا يستطيعون أن يحققوا ذلك كما ينبغى ما دام عذاب تلك الجماهير بالفقر والحرمان مسيطرا على النفوس لأن الله الخالق انما دعا الناس اليه وعرفهم بذاته عن طريق التذكير بنعمه وأفضاله عليهم وامتاعه لهم وصنعه فى الطبيعة من أجلهم •• وقد أدام تذكيرهم بآلائه التى لا حدود لها ورحمته الغامرة التى يتجلى بوضوح أن بناء الكون كله قائم عليـــها •• وجعل عبادته والايمان به عن طريق تذكر هذه النعم وشكرها كما قـــال القرآن : **« فليعبدوا رب هـــذا البيت • الذى أطعمهم من جـــوع وآمنهم من خوف »**[2] و **« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون • الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم »**[3] •

وواضح أن توجيه القرآن خطابه للناس جميعا حينما يذكرهم بنعم الله الأساسية قاطع فى الدلالة على أن هذه النعم لا تخص فردا أو جماعة أو أمة محدودة منهم بل هى عامة مشاعة لهم جميعا ، فيجب ألا يستأثر بها ويحتكرها فريق منهم لنفسه ويحرم الآخرين فيكون ظالمـــا طاغيا مبدلا للأوضاع العادلة التى أرادها الله للناس جميعا •• كما يجب ألا

---

(١) سورة ق : ٧ ـ ١١
(٢) قريش : ٣ ، ٤
(٣) البقرة : ٢١ ، ٢٢

يرضى ويستسلم الفريق المظلوم المنهوب دون أن يكافح عن حقوقه الأساسية ونصيبه في هذه النعم .. والا وقع تحت مسئولية تضييع نفسه وتفريط في حقه ، لأن القرآن لا يعفى المستضعفين الذين تقبلوا الظلم من مسئولية عدم المقاومة للظالمين ولو بالهجرة من أرضهم على الأقل ان لم يستطيعوا المقاومة الايجابية « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا** »(١) .

وأعتقد أن أشد ما يبطىء بالناس عن الدخول فى رحاب الايمان الفطرى العارف بالله حق معرفته ، ويعرضهم للفتنة فى الدين والحياة هو عذابهم بالحرمان من نعم الله وأفضاله التى جعلها لهم جميعا وعممها بعدله ، ولكن الطغاة والأنانيين حجزوها لأنفسهم ومنعوها عن غيرهم فظن الممنوعون المحرومون أن الله هو الذى أراد حرمانهم واهانتهم واكرام الأغنياء والمانعين .

وهذا غير صحيح وغير معقول ، وقد بين القرآن هذه القضية بوضوح لا أدرى كيف فات المفسرين للقرآن أن يروه ويوجهوا المسلمين اليه ليصححوا أوضاع حياتهم الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية على مقتضاه ؟ وذلك فى قوله من سورة الفجر : « **فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما** »(٢) .

وواضح من هذه الآيات أنها ترد على أوهام الناس فى أسباب الغنى والفقر وتبين لهم أن المسألة ليست مسألة اكرام من الله للغنى أو اهانة منه للفقير وانما ترجع أسباب هذه المفارقات فى أحوال الناس بين الغنى والفقر الى قسوة بعضهم على بعض والى اخلالهم بالأوضاع الطبيعية التى وضعها الله ، لأنه خلق لهم ما فى الأرض جميعا وأراد الكرامة لهم جميعا وأمرهم أن يتراحموا ويتعاونوا ويتكافلوا .. ولكن الظلمة الأقوياء

---

(١) النساء : ٩٧ (٢) الفجر : ١٥ ـ ٢٠

اخلوا بهذه الأوضـــاع التى وضعها الله ، فخصوا أنفسهم بما استطاعوا الحصول عليه بقوتهم وظلمهم من نعم الله ومنعوا تلك النعم والاكرامات عن الأيتام والضعفاء والمساكين وأمثـــالهم الذين لا يستطيعون نيل حقوقهم أو الدفاع عنها أو العمل لكسب رزقهم أو القدرة على كفاية أنفسهم ، ولم يتواص الناس ويتحاضوا على تنفيذ أمر الله بأداء حقوق أولئك الضعفاء والمساكين فى ماله الذى استخلفهم فيه بل تكالبوا وتذاءبوا وافترسوا أولئك الأيتام والمساكين والضعفاء وكانوا سببا فى حرمانهم من نعم الله وأرزاقه • وفى شعورهم بالمهانة وتوهمهم أن الله يريد لهم الهوان بالحرمان ، وقد أكل الطغاة « التراث » الطبيعى الذى جعله الله رزقا وكرامة للناس جميعا « أكلا لـــا » ابتلعوا فيه حق غيرهم وأحبوا المال حبا شديدا مفرطا وجمعوه حلالا وحراما •• ثم تناسى الناس أن هذه المفارقات هى من صنع أيديهم وجناية أنانيتهم وجشعهم وقسوتهم ، ولا دخل فيها كما يتوهمون لارادة الله اكرام الغنى بغناه الذى يجعله برحمته وحكمته وسيلة لاختبار شكره ، ولا لارادة الله اهانة الفقير بفقره الذى يجعله كذلك وسيلة لاختبار صبره •

وكأن القرآن يقول للناس فى هذه الآيات : لم يرد الله تكريم الغنى بغناه ولا اهانة الفقير بفقره ولكنكم أنتم الذين لم تكرموا الضعفاء منكم والعاجزين والفقراء وأهنتموهم وأسرفتم فى حب المـــال وحجزه لأنفسكم وحدها ، ولو أنكم جعلتم كل واحد منكم ينال من مال الله ورزقه الذى جعله لكم جميعا ما يسد حاجته لم يقل بعضكم ان الله أكرمنى وبعضكم ان الله أهاننى ، لأن الجميع حينئذ يكونون فى درجة واحدة من الشعور بتكريم الله وعدله ورحمته وكفالته •

وقد اعتبر القرآن الطغيان بالمــال والاسراف فى اهلاكه والغرور به وحبسه عن الانفاق لتحرير المحرومين من الحرية ولاكرام الضـــعفاء والأيتام والمساكين الذين أصابتهم المسغبة وآلام الجوع والحرمان •• اعتبر ذلك هو العقبة الكؤود التى يشق على الانســـان اجتيازها واقتحامها فى طريقه الى رضا الله والى البعد عن المكابدة والتعب فى السعى الى نيل الحقوق الطبيعية والنزاع عليها •• تلك العقبة التى تفسد الحياة وتدمرها بشؤمها المهلك الذى لا ينجى منه الا العمل الصالح من أجل الجميع والتواصى بالصبر عليه وبتعميم الرحمة والعدالة على الجميع : « وما أدراك

ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . أولئك أصحاب الميمنة »(1) ..

اذن فاقتحام عقبة الحياة وتجنب شؤمها يكون فى رأى القرآن الواضح فى هذه الآيات باشاعة المرحمة وبتحرير رقاب الناس من أنواع العبودية والاذلال وبتأمين لقمة العيش وأساسيات الحيـاة للضعفاء والعجزة والقاصرين عن السعى لرزقهم ، وباتقاء الغرور بالمـال والاسراف فى اهلاكه وانفاقه ، فلا يطغى به متبجحا مفتخرا فـ « **يقول أهلكت مالا لبدا** »(2) . ولا يتغاضى فى الاسراف فيه واهلاكه عن نظرات الفقراء وحسدهم وحسراتهم وحقدهم ، وعن تفتح عيونهم وتطلعهم الى نعم الله التى حجزها المسرف لنفسه ، بل يجب أن يتذكر دائما أن الله جعل للفقراء عيونا ترقب فى حسرة حقهـا فى هذا المـال . وألسنة وأدوات لنقد والحسد والقيل والقال والسخط الذى يصيبهم به الحرمان . ويصيب الحياة الاجتماعية بالشؤم والدمار كما جعل للغنى المسرف تلك الأدوات : « **ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين** .. »(3) .

لكن الاسلام لم يقتصر على الحديث الى ضمائر الأغنياء واستثارة وجدانهم بل نظم الأمر تنظيما ايجابيا فهو الى جانب ما قرره من حق للفقراء فى أموال الأغنياء — الزكاة والصدقات — نظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل بما يكفل للعامل حقوقه وكرامته .

فالاسلام يقرر ألا عمل بلا أجر .. فيقول تعالى :

« حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا »(4) .

« قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا »(5) .

---

(1) البلد : 12 — 18 (2) البلد : 6

(3) المـادية الاسلامية وأبعادها — للأستاذ عبد المنعم خلاف ص 28 — 32 والآية من سورة البلد : 9 ، 10

(4) الكهف : 77 (5) القصص : 25

« قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين »[1] .

« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[2] .

ففى هذه الآيات يعلن الاسلام فى غير لبس ولا غموض أنه لا عمل بغير أجر . وهذا بطبيعة الحال يستنكر بل ويحرم السخرة التى عرفتها ومارستها شعوب كثيرة على مر التاريخ . ومن ذلك ما كان سائدا فى أوروبا خلال العصور الوسطى التى سادها نظام الاقطاع .

ومن هذا المنطلق كان استنكار الاسلام للرق الذى يمثل أفظع أنواع السخرة مما يهبط بالانســـان الى مرتبة السائمة أو الآلة .. فعمل على سد منابع الرق وشجع على تحرير الانســـان .

أما الأجر الذى يقرر الاسلام أنه أحد أركان عقد العمل فهو ما يكفل المأكل والملبس والمسكن كما ذكرنا .. والعمال من حيث الأجور طائفتان :

الأولى : تلك التى تعمل لجميع الناس بالقطعة أو بالساعة ومن بين هذه الطائفة أناس يعملون فى حرف جرى فى تحديد أجورها العرف أو العادة كحرفة قص الشعر فلا ضرورة فيها لتعيين الأجر طالمـــا أن العرف قد جرى فيها مجرى العقد والاتفاق .

أما اذا كانت البيئة متأثرة بعوامل الجور والظلم التى تتحدى العرف فلابد من أن يتمسك العامل بحقه فى تسمية الأجر كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من استأجر أجيرا فليسم له أجرته » .

أما الثانية : فهى طائفة العمـــال الذين يعملون لصاحب العمل سواء فى بيته أو أرضه أو مصنعه أو متجره وتنقسم هذه الطائفة الى قسمين :

القسم الأول : يقيم فى بيت صاحب العمل كالخادم وقد شرع لهم الاسلام أكرم تشريع رفعهم الى مرتبة الاخوة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .

---

(١) الشعراء : ٤١ (٢) الكهف : ٣٠

ومن هذا الحديث نعلم :

أولا : أن للعمل كرامة لا ينقص من شأنها أن العامل لا يملك المال •• كيف وقد رفعه الله بالعمل الى مرتبة صاحب العمـــل فأمره أن يكون أخا له •• بل ان العمل فى البيت رفع العامل الى المكانة التى يستطيع فيها أن يصهر الى صاحب البيت بل صاحب البيت نفسه هو الذى عرض ابنته كما جاء فى القرآن الكريم على لسان شعيب النبى وهو يخاطب موسى عليهما الســـلام : **« انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج »**(١) بل ويزيد فى استعطاف **« فان أتممت عشرا فمن عندك »**(١) •

ثانيا : أن الحد الأدنى للأجور هو كفاية المأكل والملبس والمسكن •

ثالثا : أن هذا الحد الأدنى يقرر وفق البيئة التى يعيش فيها العامل أى مساويا لمــأكل وملبس صاحب العمل وسائر أفراد أسرته لا من سقط متاعهم « فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس » •

رابعا : الحديث لم يتعرض لمــا فوق الحد الأدنى بل ترك الفرصة للعامل وظروف عمله وفى قصة موسى عليه السلام روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما قرأها قال : « أجر نفسه والله على عفة فرجه وطعام بطنه » •• أى أنه آجر نفسه بطعامه وكسوته وسكنه ومهر ابنة سيد الدار • وقد راعى صحابة رسول الله تطبيق هذه المبادىء بكل دقة وتحروا مرضاة الله ورسوله فى حياتهم فكان أبو ذر الغفارى لا يشترى لنفسه ثوبا الا ويشترى لخادمه أو عبده ثوبا مثله من نفس النوع واللون •

القسم الثانى : الذى لا يقيم مع صاحب العمل كعمال المصانع والمتاجر والمزارع وغيرها •• وهنا يتحدد الحد الأدنى لأجر العامل لا ببيئة صاحب العمل ومستوى معيشته فى بيته لأن العامل لا يساكنه فى بيته •• بل ببيئة اخوانه من أهل حرفته ولا يقل عن كفاية المأكل والملبس والمسكن فى المستوى المقرر عرفا لأصحابه •

بل ان الاسلام ذهب الى أبعد من هذا فى تقدير الأجر عندما قرر

(١) القصص : ٢٧

حق العامل فى أن تكون له أسرة وأن يكون له خادم فلقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما فان لم يكن له مسكن فليتخذ مسكنا » .

وفى رواية ابن حنبل « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا أو ليست له زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ له خادما أو ليس له دابة فليتخذ دابة » .

وهذه الرواية الأخيرة تحتم على صاحب العمل أن يكفل وسيلة المواصلات للعامل عنده لا للعمل فقط بل لقضاء حوائجه الأخرى لأن الدابة ستكون ملكا له أو يعطيه من الأجر ما يكفل له تغطية نفقات انتقاله وهو ما يسمى بلغة العصر (بدل الانتقال) .. ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق « فاذا كلفتموهم فأعينوهم » ..

وهذا الجزء الأخير من حديث رسول الله يضع مبدأ هاما فى العمل .. هو ألا يكون العمل فوق طاقة العامل .. أى لا يستنزف قوته وحيويته .. لأن هذا الذى يستنزف دماء العامل مستغلا حاجته الى القوت انما هو لص قاتل سفاك يقضى على حياة العامل فى بطء ويستنزف دماءه قطرة قطرة .

لكن الاسلام لا يرضى بهذا الاستغلال فيأمر أتباعه بعدم ارهاق العامل أو بعبارة العصر « بتحديد ساعات العمل » .. « فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .. وهذه الاعانة تكون بالأجر الاضافى أو الجزاء الذى يرضى عنه نفس العامل . واذا كانت المعونة بالمشاركة فى العمل فلا شك أن الاسلام أراد أن يذيق صاحب العمل بعض ما يلقاه العامل من مشقة وعناء ليتقى الله ويعطى العامل حقه من الراحة ونصيبه العادل من الحياة .. لأن الاسلام يريد أن يخفف عن عباده ولا يجعلهم عبيدا لمطالب الحياة المادية بل لابد أن يجد المسلم ساعة يفرغ فيها الى ربه ويستروح أنسام القرب منه ولذة المناجاة وحلاوة الطاعة لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما خففت عن خادمك فهو أجر لك يوم القيامة » وكأنى بالرسول الحبيب يخاطب أصحاب الأعمال فى عصرنا الحالى بعد أربعة عشر قرنا من مبعثه .

ولأن من المعروف حديثا أن زيادة ساعات العمـل لا تؤدى فى معظم الأحيان الى زيادة الانتـاج لأن العامل المرهق جسديا لن يتقن عمـله وكلما زاد وقت العمل كلما ازداد العامل ارهاقا وسنة الله فى عباده أن يخفف عنهم وييسر لهم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »(١) .. فالذين يرهقهم الصـوم لكبر أو مرض أو سفر شاق مرهق يعفون منه « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »(٢) .. والاسلام قد أنذر الناس اذا أرهقوا أنفسهم بالدين أن يصرعهم الدين .. يقول الرسـول صلى الله عليه وسلم : « لا يشـاد الدين رجل الا غلبه » ..

فاذا كان الاسلام ينهى عن ارهاق النفس بالعبادة فهل يجيز ارهاقها بالعمل الدنيوى .. ؟ ألا ان صاحب العمـل راع فى عمله وكل راع مسئول عن رعيته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « شر الرعاة الحطمة » الذين يزيدون وقت العمـل فيحطمون عمـالهم بما يعييهم من ضعف وارهاق »(٣) .

والاسلام يحمى أجـر العامل من تباطؤ أصحاب العمل ومماطلتهم . وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعطـوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .. فهذا الحديث يقتضى من غير شك الاسراع فى دفع الأجـر ، وينهى عن المماطلة والتسـويف فيه ، ويوصى الفقهاء أن يكون دفع الأجور فى أيام العمـل لا فى يوم الراحة ، وفى مكان العمل أو مقر ادارته ، لأن دفعها فى يوم الراحة أو فى غير مكان العمل يكون بعد جفاف العرق لا قبله كما أراد الرسول .

وهكذا نجد أن الاسـلام ينظم حوافز الانتاج فى حقـل العمل بما يوفره للعامل من راحة نفسية وبدنية تتمثل فى الأجـر الذى يكفل حاجياته والعمـل الذى لا يرهقه ويسهل أسباب السعادة الدنيوية ويعمل على صيانة المجتمع بتزويج من لا يستطيعون مئونة الزواج ولو كان ذلك من بيت مال المسلمين لأن راحة العامل توفر خيرا كثيرا للجماعـة الاسلامية .

وانه ليبهرنا ما نراه من تعمق الاسـلام لأدق مشـاكل العمال حتى

---

(١) البقرة : ١٨٥ (٢) البقرة : ١٨٤

(٣) نظم العمل فى الاسلام لجمال الدين عياد ص ٣٧ .

ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم والقسامة .. ! قيل : وما القسامة ؟ قال : الرجل يكون على طائفة من الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا » .. أليس فى هذا التشريع حماية لعمـال التراحيل من جشـع مقاولى الأنفار الذين يقاسمونهم لقمة العيش وضمانة جديدة يضيفها الاسلام الى ما وضع من ضمانات لأجـر العامل الذى يبلغ به مرتبة القداسة ؟!

٧ ــ عدم سقوط الأجر : ويرى فقهـاء المسـلمين أن أجر العامل لا يسقط لفساد العقد حتى قبل اتمام العمل وسواء أكان هـذا العقد عقد اجارة أو عقد شركة من الشركات بمختلف أنواعها .. « وللعامل ــ كما يرى البعض حبس العين بعد الفراغ من العمل حتى يقبض الأجرة دون حاجة الى حكم حاكم . ذلك لأن العمل ــ كما يقول ابن القيم ــ يجرى مجرى الأعيان ولهذا يقابل بالعوض فصـار العامل كأنه شريك لمـالك العين بعمله فأثر عمله قائم بالعين فلا يجب عليه تسـليمه قبل أن يأخذ عوضه »(١) وهذا يخالف ما تقول به التشريعات الوضعية من سريان التقادم الخمسى على الدوريات أى سقوط حق العامل فى الأجر اذا مضى عليه خمس سنوات .

فانظـر الى سمو التشريع الاسلامى والى أى مدى بلغ فى الحرص على صالح العامل .. انه السـمو الذى لم يبلغه أى تشريع أرضى .. ! ولا ننسى أن نضيف فى هذا المقـام أن الاسلام يقـرر علاوة على ذلك ألا يمس الأجـر ولا أداة العمل وفاء لضريبة أو خراج كما جاء فى وصية على بن أبى طالب رضى الله عنه لعمـاله على الخراج وبذلك يضع الاسلام أجـر العامل فى مقام الدين الممتاز أى فوق سائر الديون حماية لحق العامل وعرقه .

٨ ــ تأمين العامل :

ونقصـد بذلك رعايته صحيا من أمراض المهنة كسـوء التهوية فى المناجم والرطوبة فى مصانع الغزل وهذا واجب على صاحب العمل بحكم الرعاية التى فرضها الاسلام عليه حيث يقول الرسول : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » .. واعمالا للقاعدة الشرعية السـامية

---

(١) كتاب شريعة الاسلام فى العمل لجمال الدين عياد ص ١٠٧ .

التى تهيمن على كثير من التشريعات والتى تضمنها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والتى تلزم كل مسلم بأن يمتنع عن الاضرار بالغير وبأن يعمل على دفع الضرر .

وتمتد هذه الرعاية الى الشيخوخة أو العجز عن العمل ويفرض الاسلام هنا الاعالة على بيت مال المسلمين ولا يفرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم لأن عمر قد فرض ليهودى شيخ يتسول معاشا من بيت مال المسلمين وأمر بوضع الجزية عنه هو وأضرابه . ويقول خالد بن الوليد: أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الاسلام » .

والأصل فى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلا فالينا »(١) .

والكل كل عيل والذرية منهم فجعل كفالتهم على ولى الأمر أى بيت مال المسلمين والحديث بهذا المفهوم عام يعم كل من أظلتهم الأمة الاسلامية بمظلة رحمتها وهو ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم كما ذكرنا ، لذلك كان عمر يقرر للأرامل حقهن فى بيت المال مهما تختلف بهن الديار حتى ليقول : « أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن لأحد بعدى »(٢) .

٩ — الأعمال المحرمة :

فلا يجوز شرعا استئجار العامل ليقوم بما حرم الله من أعمال كالقتل أو السرقة أو عصر الخمر أو خدمة السكارى .. فقد لعن الله حاملها والمحمولة اليه كما جاء بنص الحديث .

وعن أبى مسعود الأنصارى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن » .. والمقصود بثمن الكلب أى كلب ما عدا كلب الصيد أو الحراسة لأن الكلاب الأخرى لا ثمن لها لأنها مال غير متقوم لا تجوز المعاملة عليه .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) كتاب شريعة الاسلام فى العمل لجمال الدين عياد ص ١٢٨ .

ومهر البغي ما يدفع لها وحلوان الكاهن هو ما يدفع للعراف لاستطلاع الغيب فذلك اجارة على معصية وكفر .

١٠ — ما يشترط فى العامل :

قلنا من قبل ان عقد العمل عقد بين طرفين لا يعلو أحدهما على الآخر لذلك كما وفر الاسلام الضمانات للعامل التى تكفل له حياة آمنة مطمئنة وتضمن له حقوقه لدى صاحب العمل .. فرض على العامل من الشروط والالتزامات التى تؤدى الى اتقان العمل وايفاء صاحب العمل حقه .

والسنة الشريفة تحض على استعمال الرجل الصالح خلافا لمن قال : « ان استئجار الصالحين امتهان لهم وذلك عملا بما جاء فى كتاب الله من استئجار شعيب لموسى عليهما السلام لأن استئجار الرجل الصالح الكفء يؤدى الى قطع أسباب النزاع واستقرار السلام الاجتماعى والارتياح العام بعكس استعمال الأشرار السيئة أخلاقهم وغير أهل الكفاية والأمانة الذى يؤدى الى الشجار والشقاق والتنازع فتفسد العلاقات العامة وهذا فضلا عن أن استخدام الصالح يؤدى الى تشجيعه وتكافؤ الفرص بين الصالحين فيتقدمون على غير الصالحين فيتقدم المجتمع كله »(١) .

ولذلك فرض الاسلام على ولى الأمر فى أى موقع أن يختار الأكفأ اذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » .

وعن أبى هريرة أن رسول الله قال : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف اضاعتها يا رسول الله ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة »(٢) .

ويقول الفاروق عمر رضى الله عنه : « من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

---

(١) ص ١٣٢ من الجزء الثانى من صحيح البخارى المفسر .
(٢) رواه البخارى .

والعامل فى نظر الاسلام ضامن لما يعمل فاذا قبل القيام بما لا يجيده من عمل فهو غاش للمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من غشنا فليس منا » ..

الغش خروج على الاسلام فهل يدرك العامل المقبل على عمله ذلك ؟ .

كما أن نقص الخبرة أو قلة العلم تكون من أسباب عدم اتقان العمل ومن كان هذا شأنه لا تفيد أمانته فى الوفاء بعمله كطبيب قليل الحظ من علمه فهو لن يستطيع أداء واجبه على الوجه الأكمل مهما صدقت نيته وهو مسئول عن خطئه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » .

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفض استعمال الضعيف ولو كان من خيرة الصحابة .. فقد روى أن أبا ذر قال يوما : « يا رسول الله .. ألا تستعملنى ؟ فضرب عليه السلام على منكبه وقال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

والعمل قبل كل ذلك أمانة والمولى عز وجل يقول : **« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »**(1) .

ويقول : **« وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا »**(2) .

كما يقول على لسان ابنة شعيب وهى تحضه على استئجار موسى : **« يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين »**(3) .

ويقول على لسان يوسف عليه السلام : **« اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم »**(4) .

هذه الآيات توجب ضرورة توافر شروط معينة فى العامل منها القدرة على أداء العمل واتقان هذا الأداء وأمانة السلوك .

وعندما يحث الله سبحانه وتعالى على أداء الأمانات الى أهلها وعلى

---

(1) الأنفال : ٢٧ (2) الاسراء : ٣٤

(3) القصص : ٢٦ (4) يوسف : ٥٥

الوفاء بالعهود والعقود فهنا يندرج عقد العمل الذى يتعين بموجبه على العامل أن يؤدى ما اؤتمن عليه من عمل على أفضل وجه لأن العمل فى هذه الحالة أمانة فى عنقه •

ومن المعروف أن على كل من اضطلع بعمل من الأعمال أن يبذل أقصى الجهد ــ بدنيا أو ذهنيا ــ فى سبيل اتقانه حتى يكون المنتج خاليــا من الشوائب والعيوب •

ولا شك فى أن هذا هو ما يميز المجتمعات المتقدمة على المجتمعات المتخلفة وهو الأمر الذى يتطلبه الاسلام من أتباعه ويحض عليه فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة •

تأمل على سبيل المثال قوله تعالى : « **وترى الجبال تحسـبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شىء** »(1) •

انه تعالى شأنه يرشـدنا الى كيفية أداء العمل •• فليس كل عمـل صنعا ولا كل عامل صانعا حتى يتمكن ويتدرب ويجيد صنعته •

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لنا : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » •

وتمتد مسئولية العامل فى الاسلام الى ضمان بعض أنواع الضرر الناتج عن تقصيره ويفرق الفقهاء بين ضرر التقصير والاهمـال أو الخيانة والضرر الناشىء عن غير عمد أو بقوة قاهرة فيقول ابن قدامة فى كتابه (المغنى) : « فالراعى مثلا لا ضمان عليه فيما أتلف من المـاشية ما لم يتعـد • أما ما تلف بتعديه فيضمنه بغير خلاف : مثل أن ينام عن السائمة أو يغفل عنها أو يتركها تتباعد عنه أو تغيب عن نظـره وحفظه أو يضربها ضربا يسرف فيه أو فى غير موضع الضرب أو من غير حاجة اليه أو يسـلك بها موضعا تتعرض فيه للتلف وأشباه ذلك مما يعـد تفريطا وتعديا فتتلف به فعليه ضمانها لأنها تلفت بعدوانه » •

« كما أن العامل مسـئول اذا كان من طبيعة عمله أن يقضى للناس حوائجهم فاستغل حاجتهم اليه ولم يقنع بما فرض له من الأجـر الكاف

---

(1) النمل : ٨٨

فأخذ من هذا أو ذاك مالا .. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » .

وقد استعمل الرسول عليه السلام عاملا على الصدقة فلما عاد قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فقال عليه السلام غاضبا : « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو أمه فينظر هل يهدى اليه أم لا .. ؟ »(1) .

وخلاصة القول فى عقد العمل الاسلامى أنه يتضمن :

١ — المساواة بين طرفى العقد .

٢ — الايجاب والقبول .

٣ — تحديد الأجر الكافى .

٤ — نوع العمل .

٥ — مدة العقد .

٦ — الأخذ بأجر المثل فى حالة الخلاف .

٧ — عدم سقوط الأجر .

٨ — تأمين العامل فى حاضره ومستقبله .

٩ — لا يجوز النص فيه على عمل مما حرم الله .

١٠ — مسئولية العامل على ما استؤمن عليه من مال أو عمل مفروض إتقانه أو حاجات للناس عليه قضاؤها .

* * *

(1) نظم العمل فى الاسلام لجمال الدين عياد ص ٦٤ .

عقـــود أخـــرى

يحارب الاسلام اكتناز المـــال ويتوعد من يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بأشـــد العذاب يوم القيامة يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها ظهورهم وجنوبهم •

ويسعى الاسلام دائمـــا الى ايجاد اللقاء بين رأس المـــال والعمل من أجل خير الانسان ورفاهية المجتمع لأنه قد يوجد المـــال لدى الطفل القاصر أو السفيه الذى لا يحســـن التصرف أو العاجز غير القادر على العمل كما يوجد العامل المـــاهر والعقل المفكر الذى ينقصـــه المـــال فاذا اتحد العنصران كان هناك الخير لكليهما •

لذلك أقر الاسلام بعض العقود التى تعارف الناس عليها لمـــا وجد فيها الخير والبعد عن شبهة الربا أو الاستغلال البغيض ونظمها تنظيمـــا يتفق وما جاء به من الرحمة والســـلام ووضع الفقهاء هذه العقود ضمن عقود الشركات التى عرفها الاسلام ومن أهم هذه العقود :

١ ـــ المزارعـــة :

لأن الزراعة لا غنى عنها فى هذه الدنيـــا فهى أهم مصادر الغذاء للانسان والحيوان كما أنهـــا من أهم مصادر المواد الخام كالقطن والكتان والمطاط وغيرها •

ويشجع الاسلام الزراعة والعمل على توسيع الرقعة الزراعيـــة لتوفير الأمن الغذائى لبنى الانسان مع تزايد أعدادهم فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة فهى له »[١] •

وهذا الاحياء يتم اما باصلاحها للزراعة أو بالتعمير بالبنـــاء وهو ما أخذ ببعضه التقنين المدنى المصرى الحديث (المـــادة ٨٧٤) التى تنص على أنه « اذا زرع مصرى أرضـــا غير مزروعة أو غرسها أو بنى عليها تملك فى الحال الجزء المزروع أو المغروس أو المبنى ولو بغير ترخيص من الدولة ولكنه يفقد ملكيته بعدم الاستعمال مدة خمس

---

(١) رواه البخارى

سنوات متتابعة خلال الخمس عشرة سنة التالية للتملك » .. بينما يقول الحديث الصحيح : « وليس لمحتجر حق بعد ثلاث » أى من تملك أرضا لاعمارها ولم يفعل نزعت منه بعد ثلاث سنوات فقط .

كما يقول عليه الصلاة والسلام مبينا فضل الزراعة وحاضا عليها : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة »(١) .

وروى أحمد أن صحابيا قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنى هاتين يقول : من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل شىء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل » .

والمزارعة هى أن يكرى صاحب الأرض أرضه للفلاح ويزوده بالبذر والحيوان ويقوم الفلاح بالزراعة وله الثلث أو الربع من المحصول حسب الاتفاق .

ويجب النص فى عقد المزارعة على محل العقد والعمل والمقابل والمدة .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يكون أجر العامل قطعة من الأرض(٢) يزرعها لحسابه لأن من المحتمل ألا تخرج هذه القطعة المخصصة شيئا أو تصيبها آفة . كما أن المزارع فى هذا العقد غير مسئول عن الخسارة ويشترط لصحة التعاقد التخلية بين الأرض والمزارع حتى لا ينشأ نزاع فى العمل .

٢ ــ المساقاة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« قالت الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا المهاجرين النخيل ، قال : لا ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة .. ، وقالوا : سمعنا وأطعنا »(٣) .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى .

وقد استدل فقهاء المسلمين بهذا الحديث على جواز المساقاة وهى أن يعهد الرجل بنخله أو كرمه أو رمانه أو كل ما له قرار وجذور — فى رأى البعض — لمن يقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج اليه بجزء معلوم من ثمره .

وقد قيد الفقهاء هذا العقد بقيود لمنع الاستغلال وأهم هذه القيود تحديد عمل العامل فقالوا : يجب عليه السقى فقط دون الجذاذ (جنى المحصول) وحفر المساقى وسد الأحواض وتنقية العين .

٣ — المضاربة :

أباح الاسلام هذا النوع من الشركات فى التجارة للتيسير على الناس وهى تشبه الاجارة لأن حصة الربح فيها للشريك العامل تقابل مجهوده فى العمل . وشروطها :

١ — الاشتراك فى الربح .

٢ — التخلية بين العامل ورأس المال .

٣ — تحديد نصيب كل من العامل وصاحب رأس المال فى الربح .

٤ — اعتبار العامل أمينا .

٥ — عدم التزام العامل بشىء من الخسارة أو التلف الذى لا يد له فيه[١] .

٦ — عدم كف العامل عن التصرف المعتاد الذى يتطلبه عرف التجارة والتجار .

٧ — لا يصح اشتراط مبلغ محدد كربح سواء للعامل أو صاحب رأس المال لاحتمال ألا يزيد الربح عما شرط لأحدهما .

٨ — نفقات الشريك بالعمل فى حالة السفر لمصلحة العمل تجب فى مال الشركة وتشمل الطعام والكسوة والركوب والمبيت يصرف بالمعروف أما فى حالة الاقامة فنفقته على حسابه الخاص .

واذ عمل صاحب المال فى هذه الشركة تفسد المضاربة كما لا يعمل صاحب الأرض فى المزارعة .

* * *

(١) نظرية الاسلام الاقتصادية للمؤلف ص ١٠٦ ، ١٠٧

حق الاضراب

يقول تعالى :

« لقد خلقنا الانسان فى كبد • أيحسب أن لن يقدر عليه أحد • يقول أهلكت مالا لبدا • أيحسب أن لم يره أحد • ألم نجعل له عينين • ولسانا وشفتين • وهديناه النجدين • فلا اقتحم العقبة • وما أدراك ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام فى يوم ذى مسغبة • يتيما ذا مقربة • أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة • أولئك أصحاب الميمنة • والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة »(١)•

« اذن فاقتحام عقبة الحياة وتجنب شؤمها يكون فى رأى القرآن الواضح فى هذه الآيات باشاعة المرحمة وبتحرير رقاب الناس من أنواع العبودية والاذلال وبتأمين لقمة العيش وأساسيات الحياة للضعفاء والعجزة والقاصرين عن السعى لرزقهم وباتقاء الغرور بالمال والاسراف فى اهلاكه وانفاقه فلا يطغى به متبجحا مفتخرا **« يقول أهلكت مالا لبدا »** ولا يتغاضى فى الاسراف فيه واهلاكه عن نظرات الفقراء وحسدهم وحسراتهم وحقدهم وعن تفتح عيونهم وتطلعها الى نعم الله التى حجزها المسرف لنفسه بل يجب أن يتذكر دائما أن الله جعل للفقراء عيونا ترقب فى حسرة حقها فى هذا المال وألسنة وأدوات للنقد والحسد والقيل والقال والسخط الذى يصيبهم به الحرمان ويصيب الحياة الاجتماعية بالشؤم والدمار كما جعل للغنى المسرف تلك الأدوات •• لسانا وشفتين »(٢) •

فالاسلام حريص على ايجاد المجتمع المتحاب المتراحم الذى يعيش فى أخاء وتعاون على البر والتقوى وتشيع بين أفراده الألفة والمحبة • ويعبر عن ذلك الدكتور محمد البهى من بحث له بمجلة الاعتصام(٣)

---

(١) البلد : ٤ ـ ١٩

(٢) المادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف •

(٣) عدد رجب ١٣٩٦

القاهرية بعنوان « **المجتمع الاسلامى مجتمع الملاك والعمال معا** » فيقول :

« ومع كون المجتمع الاسلامى مجتمع ملاك وعمال معا فانه ليس مجتمعا طبقيا . لأن الملاك والعمال اخوة فى الايمان ومتساوون فى الاعتبار البشرى . وأخوة بعضهم لبعض تحول لذلك دون قيام نزاع بينهم فضلا عما يسمى بالصراع الطبقى . ومساواة بعضهم لبعض فى الاعتبار البشرى من شأنها أن تمنع سخرية بعضهم من بعض واستخفاف القوى بالضعيف . وقد جاء الأمران فى قول الله تعالى : « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** »(١) .

فاذا تحول النزاع بين طائفتين من المؤمنين — ملاك وعمال .. حاكم ومحكومين — الى قتال بينهما ، وجب تدخل المؤمنين بالقوة لانهاء القتال ، ثم معالجة الأمر بينهما بعد ذلك على أساس من العدل : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين** »(٢) .

وهكذا : هناك ثلاثة نظم فى ملكية المال وانمائه وانفاقه .. وبالتالى **هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات** :

أولا : الملكية الفردية للمال والحرية فى انمائه وانفاقه . **ومجتمع** هذا النظام هو المجتمع الرأسمالى ، **أو مجتمع الملاك** .

ثانيا : ملكية الدولة للمال ، وممارسة الدولة السيادة على **الأفراد** فى تحديد العمل والأجور . **ومجتمع هذا النظام هو مجتمع العمال بدون مالكين للمال** .

ثالثا : الملكية الفردية للمال ، والالتزام **فى انفاقه وانمائه بحدود**

---

(١) الحجرات : ١٠ ، ١١   (٢) الحجرات : ٩

الاستخلاف فيه ، وهذه الحدود تحول دون الطغيان به ، ومجتمع هذا النظام هو مجتمع الملاك والعمال معا ، أو المجتمع الاسلامى .

وهكذا : دخول الاستخلاف فى الملكية الفردية للمــال أى أن الانسان مستخلف فى مال الله هو الفيصل فى تمييز المجتمع الاسلامى عن المجتمعين الآخرين .. الرأسمالى .. والعمالى .. لأنه على أساس من الاستخلاف فى المــال لا توصل الملكية الفردية الى الصراع الطبقى .. وبالتالى الى التحول الى المجتمع العمالى .. فالاستخلاف كتفويض من الله تعالى يضع المــالك للمال أمام مجمــوعة من القيود أو المبادىء لا يحيد عنها .. يضعه :

* أمام المنفعة العامة للمال الخاص ، فيشرك أصحاب الحاجة معه .

* وأمام عدم الاستغلال لصاحب الحاجة عند التنمية ، فيمتنع عن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وبالأخص أكل أموال الضعفاء .

* وأمام عدم العبث ، والتقيــد فى الانفاق على الذات أو على الآخرين ممن يجب الانفاق عليهم .

وبهذه القيود أو المبادىء لا تكون الملكية الشخصية طريقا الى الطغيان بالمــال ، والتدخل فى شئون الحكم وتوجيه سياسة المجتمع . بل تبقى طريق المباشرة النشطة للمال .

وبهذه القيود أو المبادىء كذلك لا تكون الملكية الشخصية منفــذا الى تكديس الثروة ، ولا الى الشح فى انفاقها ، فمانع الزكاة مرتد ، ويقاتل على ردته ، وتقسيم الارث ضرورة اجتماعية واقتصادية .

وبهذه القيود أو المبادىء أيضا كما تكون للمال حرمة عدم الاعتــداء عليه باتلافه أو تخريبه أو الامتناع عن العمل فى انمائه .. تكون للعامل فيه حرمة الحق فى الأجــر المجزى ، وفى ضروب الرعايات المختلفة .. كانسان يتساوى فى الاعتبار البشرى مع المــالك سواء بسواء .. » .

والاسلام ــ كما قدمنا ــ يلزم الدولة المسلمة بكفالة الحد الأدنى من ضرورات الحياة من مأكل وملبس ومسكن لرعاياها جميعا فلمــاذا الاضراب ؟ .

ان الاضراب محــرم فى المجتمعات التى تدين بالاشتراكية ويرجع

ذلك الى أن الدولة تملك جميع وسائل الانتاج من أرض ومناجم ومصانع ٠٠ كما أن الطبقة الحاكمة مفروض أنها طبقة العمال صاحبة الأغلبية وصاحبة المصلحة ومن غير المعقول أن يضيع العمال فى ظل حكومتهم ٠٠

وفى مصر تكفلت الدولة بتشغيل جميع الخريجين سواء من الجامعة أو من مراحل التعليم الأخرى وهى تكفل لهم من الأجر ما يعادل الحد الأدنى لمستوى المعيشة وتترك للخريج بعد ذلك أن يجتهد ليرفع من مستواه ٠

أما النظام الاسلامى فأساسه أن كل عمل المرء لله تعالى ٠٠ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » ٠٠

والعمل عقد بين العامل وصاحب العمل ٠٠ عقد معاملة وقد جعل الله نفسه طرفا فى كل معاملة ٠٠ وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يد الله مع الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما » ٠٠ ومن أمثلة الخيانة فى عقد العمل :

بخس الأجر خيانة ٠

كما أن عدم اتقان العمل خيانة ٠

وقد أمرنا الله تعالى بالأمانة والوفاء وجعل عهود المسلمين وعقودهم مقدسة :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »(١) ٠

« ان العهد كان مسئولا ٠٠٠ »(٢) ٠

والعمل فى الإسلام عبادة — كما قدمنا — فكيف يقبل الله عبادة المسلم فى عمله اذا اتجه الى الحاق الضرر بغيره أو بالمجتمع — عن طريق الاضراب — ولم يتجه به الى تغليب الخير العام ٠٠ ؟

ولنذكر أن صاحب العمل ما هو الا مستخلف فى مال الله الذى يقوم فيه بواجب الوكالة عن صاحب المال الأصلى فليس العامل خادما عند صاحب العمل بل هو خادم للأمة ٠

---

(١) المائدة : ١ (٢) الاسراء : ٣٤

والاضراب فى هذه الحالة تعطيل ، والتعطيل سيعود ضرره على العامل وصاحب العمل وأفراد الأمة المسلمين والاقتصاد القومى كله بما سيخسره من انتاجية هذا العامل وبما سيترتب على اضرابه من اضرار بمصالح المسلمين الذين ينتظرون انتاجه .

ولنضرب مثلا يوضح ما نقول .. فاذا فرضنا أن مصنعا للغـزل قد أضرب عماله عن العمل وتوقف انتاجه .. فكم مصنع للنسيج سيتوقف بعده .. ؟ وكم مصنع من مصانع (التريكو) الصغيرة سيتعطل ؟ وكم متجر من المتاجر التى تقوم بتسويق منتجاته أو منتجات مصانع النسيج المعتمدة على غزله ستكسد أعمالها ؟ وكم ستخسر الدولة من عدم تصدير حصة الغزل المتعاقد على تصديرها ؟ علاوة على ما ستتحمله من غرامات بالعملات الحرة نتيجة لعدم الوفاء بهذه التعاقدات .. ؟

تأمل يا أخى هذه السلسلة من الأضرار التى تتحقق نتيجة لاضراب العامل بينما قاعدة الاسلام الأولى فى كل شىء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار .. » .

لا شك فى أن السؤال الذى سيتبادر الى الذهن الآن هو : وما الحل اذن اذا أحس العمال بالظلم .. ؟ .

والتشريع الاسلامى الرحيم يعرض علينـا الحل فيما ترويه السير من أن رجلا ذهب يشـكو عماله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأنهم سرقوا بعض ماله فقام أمير المؤمنين بالبحث والتحقيق فى شكوى الرجل فتبين له أن الرجل لا يعطى عماله كفايتهم وما يسـد ضروراتهم فصاح بالرجل : « أيها اللص اذا عاد هؤلاء للسرقة قطعت يدك أنت » ..

هذا تشريع من الخليفة الراشـد الذى أعطى حق التشريع .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتبعوا سنتى وسنة الخلفـاء الراشدين من بعدى » ..

فاذا وجد التذمر بين العمال كان على ولى الأمر أن يبحث فى عدالة مطالبهم فان كانوا يطلبون حقا أعطوه وكان اثم التقصير على من منعهم الحق وان كان تذمرهم بغير حق فانهم الآثمون وحدهم وعليهم العقاب .

وعمر لما دون الدواوين لم يسجل الناس ليفرض عليهم الضرائب بل ليرتب مرتبا لكل مولود فى الاسلام .. لأن الاسلام كما قدمنا كلف الدولة بأن توفر الحد الأدنى لرعاياها من ضرورات الحياة أى المأكل والملبس والمسكن .

يقول الله تعالى لآدم عندما أهبطه الى الأرض **« ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى »**[1] .. هذا وعد الله الذى ألزم به خليفته فى الأرض ..

فاذا كفلت الدولة ذلك فلماذا الاضراب ؟ ..

ان الاسلام يدعو الى مجتمع الاخاء والتكافل ودعوة الاسلام ملحة لاقامة هذا المجتمع والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » .

انها دعوة ليرتفع المسلمون — عمال وأصحاب أعمال — الى مستوى اسلامهم وينزلوا الاسلام من قلوبهم محل الذهب والدينار فلا يبيعوا الآخرة بالدنيا .

* * *

(١) طه : ١١٨

الفصل الثالث

تشغيل النساء

* المســـاواة بين الرجل والمرأة ٠
* الكسب مسئولية الرجل ٠
* رأى الطب ٠
* خسارة المجتمع ٠

المســاواة بين الرجل والمرأة

لقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى كل العبادات وفى كل مسئوليات الحياة تقريبا كما ساوى بينهما فى الجزاء ..

يقول تعالى : ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**))(١) .

كما قال عز وجل : ((**فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض**))(٢) .

واذا كان هدف العمل الدنيوى والسعى على الرزق هو أن يعف المرء نفســه ويكفى من تلزمه نفقته فالرجل والمرأة فى ذلك سواء الا أن هذا السعى فرض على الرجــل واستثناء على المرأة فى رأى الأغلبية من فقهاء الاسلام .

ويستشهدون على ذلك بقول المولى عز وجل وهو يوجه الخطاب لآدم وزوجه بعد أن أسكنهما الجنة : ((**فقلنا يا آدم ان هــذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**))(٣) ... وحده .

ولقد أطاعا الشيطان ونسيا تحذير الرحمن فخرجا من الجنة ليكون الشقاء والتعب لآدم وحده بمعنى أن نصيبه من ذلك أكبر من نصيب المرأة فى العمل أو كما يقول بعض العلماء : ((العمل معصوب برأس الرجل)) ..

والواقع أن الاسلام قســم العمل بين المــرأة والرجل وأعطى كلا منهما ما أهله له تكوينه الطبيعى من عمل فى الحياة .

واذا كان قد خص المرأة بمملكة البيت تديرها وتربى أجيال الأمة وتضع البذور الأولى للتربية الصحيحة لتخرج لبلادها شبابا يعتمد عليهم فى مستقبل الأمة وخفف عنهــا من أعباء الصفق فى الأسواق والسعى على طلب الرزق فهى فى ذلك ليست استثناء منفــردا لأن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالرفق مع أصناف أخــرى من الناس فى مجال العمــل

---

(١) النحل : ٩٧
(٢) آل عمران : ١٩٥
(٣) طه : ١١٧

لأسباب معينة كما فى حالات المرض أو الاصابات التى تعجز عن العمل .. فهو يرخص للمريض — مثلا — بعدم الصيام فى رمضان ويعفيه من الجهاد اذا دعا داعيه وهو فرض من فروض الاسلام(١) .

ومع ذلك فان مسئولية البيت مسئولية ضخمة وخطيرة وأمانة تتطلب الكثير من الجهد والصدق فى أدائها جعلت الاسلام يضع من التشريع ما يكفل للمرأة القيام بها فى اطمئنان وأمان لا يرهق بالها التفكير فى غيرها فكفل لها من أسباب الرزق ما يصونها عن التبذل ويحميها من شرور الكدح فى الحياة فلم يفرض عليها شيئا من الأعباء الاقتصادية اللازمة لمعيشتها أو لمعيشة غيرها .

فهى اذا لم تكن فى عصمة زوجها فنفقتها واجبة على أصولها أو فروعها أو أقربائها — الوالد والأخ والعم وابن العم والخال .. الخ حسب ترتيب الفقه الاسلامى لهم فى وجوب النفقة .

« وهى فى عصمة زوجها تجب نفقتها على الزوج سواء أكانت هى موسرة قادرة أو معسرة عاجزة عن النفقة وان لم يكن لها زوج ولا قريب قادر على الانفاق عليها فنفقتها واجبة على بيت المال »(٢) .

ولكن قد لا يوجد بيت المال وقد تقع المرأة فى عسر وضيق وهنا يبيح لها الاسلام أن تعمل ومن أجل ذلك احتفظ الاسلام للمرأة بكامل حقوقها الأهلية والمدنية وأهليتها فى تحمل الالتزامات واجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية وبسلطتها المطلقة فى ادارة أموالها بنفسها .

فللمرأة فى الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية أهلها وزوجها ولا يجوز لأهلها ولا لغيرهم التصرف فى شىء من مالها متى كانت رشيدة الا باذنها .

والاسلام لذلك يبيح للمرأة القيام بأى عمل ولو خارج منزلها ما دامت تؤدى ذلك فى وقار وفى صورة بعيدة عن مظان الفتنة محافظة

---

(١) ولعل هذا هو علة تشريعات عدم تشغيل الاحداث وهو ما يدعو الى تحريم تشغيل المرأة فى الأعمال التى ترهق بنيتها كالعمل فى المناجم .

(٢) مشكلات المجتمع العصرى لعلى عبد الواحد وافى ص ٢٦

على ما سنته الشريعة فى هذا الصدد وبما لا يتعارض مع أوضاعها فى الأسرة والمجتمع ولا يكلفها ما لا طاقة لها به وما لا تحسن اداءه بطبيعها .

وليكن أول ميدان للعمل هو بيتها من حياكة وتطريز وصناعات منزلية فذلك أولى وأفضل وقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قولها : « تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه — بعيره — فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقى الماء وأخرز غربه — أى أخيط دلوه — وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل الى أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى » .

« والحياة المنزلية القائمة على ادارة البيت ورعاية حقوق الزوج والأولاد ، تتطلب — الى جانب الأعباء الأخرى — عبئا ماليا يمكن للمرأة أن تساهم فيه بنصيب كبير ، وأن يبرز أثرها واضحا فى رفع مستوى المعيشة الزوجية ، بل وفى تحسين اقتصاديات الوطن عامة .. فخدمة البيت ومراقبة الأطفال صحيا وثقافيا وخلقيا ، واعداد الملابس وعمل بعض المأكولات المحفوظة ومواد التنظيف . لو أحسنت المرأة القيام بها لساد فى البيت الهدوء والاستقرار ، ولتوفر جزء كبير من الدخل يساعد فى انعاش حال الأسرة ويسهم فى الدخل القومى للدولة .

وهذه الجهود المحترمة لا تقل أثرا وفضلا عن جهود الرجل خارج محيط الأسرة .. لقد جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن وافدة على النبى من قبل بنات جنسها لتعرف رأيه فى جهود المرأة وما امتاز به الرجل عليها من كفاح فى الحياة وخدمات للأمة وفرص للأجر والثواب . قالت أسماء : ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك ، وانا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج . وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل . وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم . أنشارككم فى هذا الأجر ... ؟

فكان رد النبى عليها : « أفهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من

النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك »(١) •

وتقول السيدة عائشة : « المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله »(٢) •

أما اذا اضطرت للخروج — لا سيما اذا كانت تعول ضعافا — فلها ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن »(٣) •

ويقول جابر : « طلقت خالتى فأرادت أن تجد نخلها — أى تقطعه — فزجرها رجل أن تخرج ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : بلى فجدى نخلك فانك عسى أن تصدقى أو تفعلى معروفا »(٤) •

وشبيه بهذا ما جرى عليه العرف فى الريف المصرى منذ آلاف السنين حيث نرى المرأة تقوم بشئون التدبير المنزلى وجلب المياه واعداد الطعام لبيتها وصناعة الخبز — من أول تنظيف الغلال الى الطحن والعجن والخبز — والاشراف على البقرة أو الجاموسة وحلبها وصناعة الجبن والزبد من لبنها ثم تخرج بعد ذلك لتساعد فى عمل الحقل وتحمل الى سوق القرية ما يزيد عن حاجة بيتها من منتجات لتبيعها وتشترى ما يحتاج اليه أهلها من كساء وغذاء •

وهذا الضرب من الكدح النسائى تقتضيه شئون الحياة فى البيت الريفى ويحقق التعاون بين أفراده ويساعد على سد حاجته ورفع مستواه الاقتصادى وهو مع كل ذلك لا يخرج بالمرأة عن نطاق أسرتها ولا يضطرها للعمل تحت سيطرة أجنبى ولا يحملها أعمالا تتنافر مع طبيعتها وما خلقت له ولا يزج بها فيما يؤدى الى ضرر خلقى أو اجتماعى • فهو نشاط طبيعى ينبع من طبيعة الحياة فى الريف وتستلزمه حاجات الأسرة وهو مصدر خير عميم من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية وهو محوط بضمانات تصون المرأة عن الابتذال أو الخضوع للغير وتحفظ لها كرامتها واستقلالها وحريتها وتنأى بها عن مظاهر العنت والارهاق ولا

---

(١) رواه البزاز والطبرانى (٢) الاسلام دين العمل لعطية صقر •
(٣) رواه البخارى • (٤) رواه مسلم •

ينحرف عن العرف ويتفق مع ما تواضع عليه أهل الريف من أخلاق وسلوك ويسير فى حدود شريعة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو لا يختلف عما كانت تقوم به أسماء بنت أبى بكر فى بيتها مما ذكرناه آنفا .

وهذا لا يتوفر فى ظروف العمل بالمدن التى تتسم فيها أماكن العمل بالتجمعات المختلطه والانتقال فى وسائل المواصلات المعروفة وهنا يطلب منها الدين أن تتجنب المزاحمة مع الرجال سواء فى الطريق أو مكان العمل أو وسائل الانتقال .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء فى الطريق : « استأخرن فليس لكن أن تحقفن الطريق[1] عليكن بحافات الطريق » .. فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقه به [2] .

كما أوصى النبى عليه السلام الرجال بعدم مزاحمة النساء فقال : « لأن يزحم رجل خنزيرا ملطخا بطين أو حمأة خير من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له »[3] .

وهل يستطيع النساء أو الرجال فى ظروف الحياة التى نعيشها فى مدينة كالقاهرة تجنب هذا التزاحم والتلاصق وكل ما يخدش الحياء وما قد يرقى الى هتك العرض فى وسائل المواصلات ؟!

وهل ما تكسبه السيدة العاملة من عملها خارج البيت يعادل الخسارة الفادحة التى تنزل بالأسرة ؟ وكيف بضياع الأبناء ذخيرة الوطن وعماد المستقبل ؟ وهل تغنى الخادم فى البيت عن السيدة ؟ هل تستطيع الخادم أن تعوض الأطفال عن حنان الأمومة وحسن رعاية الام وتوجيهها ؟! هل يهمها أن تغرس فى نفوس هؤلاء الأطفال مبادىء الأخلاق أو الدين أو المعانى الكريمة التى يحرص الوالدان على غرسها فى أبنائهما ؟

وكم تستهلك المرأة العاملة من مرتبها على ملابسها ومواصلاتها وزينتها من أجل أن تذهب الى العمل ؟ وماذا يتبقى بعد ذلك لبيتها من هذا المرتب ؟ .

---

(١) تسرن فى وسطه .

(٢) رواه أبو داوود .

(٣) رواه الطبرانى .

ويضيف الدكتور على عبد الواحد وافى الى هذه التساؤلات قوله :

« هل هناك مقتضى اجتماعى أو اقتصادى جدى لنزول المرأة المصرية والعربية الى هذا النوع من ميادين الكدح فى الحياة ؟ وهل اتسعت ميادين الأعمال العامة وميادين الانتاج فى مصر والعـــالم العربى لدرجة يحتاج فيها الى جهود المرأة فى هذا النطاق الواسع الذى أخذت فتياتنا تتجهن اليه ، بل يظهر أنها لم تستوعب بعد جميع جهود الرجال ، بدليل تفشى البطالة بين كثير من طبقات المتعلمين وغيرهم •

والذى يظهر أن نزول المرأة العربية الى هذه الميادين كثيرا ما ينطوى على أضرار بالغة من الناحيتين الخلقية والاجتماعية ، وكثيرا ما يترتب عليه ارهاق المرأة وتكليفها من الأعمـــال فوق ما تطيق ، وكثيرا ما يؤدى الى اهمالها لشئون زوجها وأولادها وبيتها • ولا يخفى ما يترتب على هذا الاهمال من اضطراب فى حياة الأسرة وتقويض لأهم مقوماتها • ونقص فى تربية الأولاد ، واضعاف لروح الترابط العائلى •

هذا الى أن ما تجنيه المرأة الكادحة فى الطبقات الوسطى من كسب مادى فى عملها خارج البيت فى هذه الميادين تخسر الأسرة مثله بل أكثر منه فى نفقات الخدم ودور الحضانة وفى علاج الأضرار التى تلحق المنزل وأهله من جراء اهمال المرأة لشئونه •

وفضلا عن هذا وذاك فان شـــغل المرأة لوظيفة عامة فى المرحلة التى نجتازها الآن فى طريق التطور الاقتصادى والانتاج القومى يسد باب هذه الوظيفة وباب الرزق أمام رجل يعول عائلة بالفعل أو هو فى سبيله لأن يعول عائلة •• على حين أنه يندر فى نظامنـــا العربى والاسلامى أن يقع على امرأة عبء الانفاق على نفســـها ، كما تقدم بيان ذلك فى الفقرة الثانية من هذا الباب •

وليس معنى هذا أننا ننصح بألا تزاول المرأة المصرية والعربية أى عمل من الأعمال العامة فى خارج منزلها • بل اننا نرى أن ثمة طائفة من الأعمال العامة لا يجيدها غير النساء ، وينبغى أن تكون وقفا عليهن • كأعمال التمريض وكثير من أعمال الطب وشئون التربية والتعليم فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، وبعض أعمـــال الخدمة الاجتماعية ، وأنه من الواجب أن تتفـــر من كل فرقة طائفة من

الفتيات ليتفقهن فى هذه الأعمال ويتخصصن فى هذه الشئون ولكن لا ينبغى أن يتسع نطاق هذه الطائفة فيزيد عما تحتاج اليه هذه الأعمال • وفى ميادين هذه الأعمال متسع كبير لاستيعاب فضل النشاط النسوى فى مصر كما أن فيها متسعا كبيرا لمن تضطرهن ظروفهن الخاصة الى الانفاق على أنفسهن وأسراتهن أو مساعدة أزواجهن »(١) •

كما يؤكد الدكتور على عبد الواحد فى ختام كلمته هذه على أن مملكة البيت وما فيها من أعمال كثيرة ونطاق واسع لنشاط المرأة لاسيما فى حضانة الأولاد وتدبير شئون المعيشة للأسرة لا تقل فى أهميتها ولا فى قيمتها الانتاجية عن الأعمال التى يقوم بها الرجال فى الوظائف والمصانع بل ان تقديرا دقيقا لقيمة هذه الأعمال من الناحية الاقتصادية — اذا أديت على وجه صحيح — ليتبين منه رجحان كفتها على أعمال الرجال لأن قيام المرأة بهذه الأعمال على الوجه الاكمل كفيل بأن يستنفد جميع جهودها ويستغل معظم مظاهر كفايتها واستعدادها كما أنه كفيل بزيادة الانتاج العام ورفع مستوى الدخل القومى هذا الى جانب ما يحققه للأسرة ذاتها من سعادة واستقرار وتوثيق للروابط وصيانة للأخلاق •

بينما يحدثنا الأستاذ سيد سابق فى كتابه « اسلامنا »(٢) مجيبا من يتساءلون عما اذا كان علماء الدين يريدون أن يجردوا المرأة من كل عمل تكسب به قوتها •• قائلا :

« ونقول نحن لا •• فاننا نريد أن تكسب المرأة قوتها عن طريق الزوجية لأن الله خلق النساء على عدد الرجال مع تفاوت لا يعتد به — هنا تارة وهناك تارة أخرى — ولكنكم أنتم بتسويلاتكم لها الخروج والاختلاط بالرجال قد عملتم من طريق غير مباشر على اشاعة العزوبة كما قدمنا ، وشيوع العزوبة يفضى الى وجود جيوش من النسوة لا يجدن القوت ، فيضطررن للعمل مع الرجال ، والعمل مع الرجال يزيدهم اغراقا فى العزوبة للأسباب التى لا تخفى على أحد ••

فأنتم الذين قضيتم على المرأة بأن تذل فى العمل الخارجى ،

(١) مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى ص ٣٤ — ٣٧
(٢) اسلامنا ، للأستاذ سيد سابق ص ٢٠٩ ، ٢١٠

نعم .. هو اذلال لها أى اذلال ، فانها لم تخلق لتمتهن كبائعة أو كاتبة أو سائقة سيارة أو سمسارة أو حوذية .. الخ .. الخ .

ولكنها خلقت لتكون ربة بيت وان هذا البيت لو كان كوخا حقيرا فهو أكرم لها وأحفظ لمميزاتها ، من أن تكون بائعة أو كاتبة أو سكرتيرة ! ولسنا ننكر أن المجتمع مهما بالغ فى المحافظة على النظام الطبيعى حيال النساء فسيوجد منهن من يعوزها القوت ، ولكن عدد المعوزات يكون قليلا ، يمكن الحكومة الرشيدة من تدبير أعمال لهن تليق بكرامتهن ..

ولكنكم أيها الثائرون لا يعنيكم قوت المرأة وانما يعنيكم أن تجدوا بطلات لأقاصيصكم من المسائلات الميلات وما لكم والنساء العاملات اللاتى تلفح وجوههن النار ؟ ..

فليس مقصدكم المدافعة عن النساء ولكن اخراجهن من خدورهن » .

ولقد نشرت جريدة الأهرام القاهرية فى عدد ٢٩ مايو سنة ١٩٧١ تحت عنوان « أستاذة جامعية فى انجلترا تنصح طالباتها بالزواج » .. ما يلى :

« أستاذة جامعية فى انجلترا وقفت هذا الأسبوع أمام مئات من طلبتها وطالباتها تلقى خطبة الوداع بمناسبة تقديم استقالتها من التدريس .

قالت الأستاذة :

هاأنا قد بلغت الستين من عمرى ، وصلت فيها الى أعلى المراكز ، نجحت وتقدمت فى كل سنة من سنوات عمرى ، وحققت عملا كبيرا فى المجتمع . كل دقيقة فى يومى كانت تأتى على بالربح ، حصلت على شهرة كبيرة ، وعلى مال كثير ، أتيحت لى الفرصة أن أزور العالم كله ، ولكن .. هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات ؟

لقد انشغلت فى غمرة انشغالى فى التعليم والتدريس والسفر والشهرة ، أن أفعل ما هو أهم من ذلك بالنسبة للمرأة ..

نسيت أن أتزوج وأن أنجب أطفالا وأن أستقر ...

اننى لم أتذكر ذلك الا عندما جئت لأقدم استقالتى .. شعرت فى هذه اللحظة أنى لم أفعل شيئا فى حياتى . وأن كل الجهد الذى بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباء .. فسوف أستقيل وسيمر عام أو

اثنان على استقالتى ، وبعدها ينسانى الجميع فى غمرة انشغالهم بالحياة .

ولكن .. لو كنت تزوجت .. وكونت أسرة كبيرة ، لتركت أثرا أكبر وأحسن فى الحياة .

ان وظيفة المـرأة الوحيدة هى أن تتزوج وتكون أسرة ، وأى مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له فى حياتها هى بالذات .. اننى أنصح كل طالبة تسمعنى أن تضع هذه المهام أولا فى اعتبارها .. وبعدها تفكر فى العمل والشهرة » ..

أما الدكتور عيسى عبده ابراهيم فيقول فى بحث له بعنوان « تشغيل النساء »(١) :

« يجب التفرقة بين (اشتغال المرأة) وبين تشغيل النساء .. فلكل من العبارتين مدلول قائم بذاته .. فأما عن اشتغال المرأة ببعض وجوه النشاط .. وأما سعى بعض النساء الى شغل الوظائف التى تصلح لهن .. فهذه ظاهرة أزلية ما خلا منها عصر ولا مصر .. والأمثلة كثيرة .. نجتزىء بما يلى :

معاونة الزوج فى نشاطه الزراعى — الاشتغال بالتجارة — ممارسة الحرف الخفيفة التى تصلح للدار كما كان العهد فى العصور القديمة وفى القرون الوسطى .. ولقد بقى من هذا آثار مسـتمرة فى البلاد المتخلفة أساسا ، وفى البيئات المحدودة الدخل فى البلاد المتقدمة .. كذلك من المهن ما لا ينبغى للرجال .. لأنهم لا يصلحون له .. كتعليم الأطفال ، وتعليم البنات ، وخدمة النساء فى شئونهن الخاصة (الا فى مباشرة المعضلات فعندئذ يكون الرجال أقدر) ..

* * *

---

(١) عدد رمضان ١٣٩٦ من مجلة الاعتصام القاهرية .

هذه أمثلة لما اشتغل به بعض النساء على مدار الزمن .. ولا محل للاعتراض فليس هذا موضوعنا .. وانما الذى نقصده بتشغيل النساء هو فرض التكليف الشاق لكسب المعاش على كل من الذكر والأنثى على حد سواء بزعم أن هذا الاتجاه هو اتجاه تقدمى أو حضرى .. نقول ان مثل هذا الزعم فاسد من أساسه فغير صحيح أن المرأة مكلفة بكسب معاشها وغير صحيح أنها اذ هجرت الدار وخرجت الى الأسواق والمصالح الحكومية والمتاجر والمنشآت والمؤسسات والمكاتب الخاصة وأجهزة الاعلام والفرق الماجنة التى انتشرت فى بلاد المسلمين .. نقول بأن هذا التحول الى مشاركة الرجال فى كل وجوه النشاط لا يتفق مع الفطرة ولا مع الاستعداد الطبيعى للمرأة التى تحمل فى حياتها الزوجية وفى حدود دارها أعباء لا يصلح لها الرجال .. وغير صحيح كذلك أن ما انتهى اليه أمر النساء من تشغيلهن وتسخيرهن لكسب القوت قد كان كسبا .. بل نراه اهدارا للحقوق التى كفلها الخالق عز وجل للمرأة حين جعلها فى الحياة الدنيا قرينة للرجل ومسئولة منه .. بل نقول انها أمانة من الخالق جل وعلا وهبة ونعمة للرجال الذين يقدرون دور المرأة فى الحياة الزوجية وفى تنشئة الأجيال **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »**(١) .. وللقارىء أن يطيل النظر فى هذه الآية من سورة الروم وأن ينظر فى بعض كتب التفسير لأننا نريد أن نخلص الى الآثار الضارة بالنشاط الاقتصادى وبالتركيب الاجتماعى نتيجة لتشغيل النساء على قدم المساواة مع الرجال فنقول وبالله التوفيق :

١ — التسوية المزعومة بين الجنسين فى فرص العمل تضاعف عرض الأيدى العاملة والنتيجة الحتمية هى انخفاض مستوى الأجور وصعوبة القضاء على البطالة ..

وهذه تجربة ثابتة فى جميع أنحاء العالم الصناعى بوجه خاص .

---

(١) الروم : ٢١

٢ — مشاكل البطالة من أعقد ما ظهر فى كل العصور ولكن الخطر الداهم على المجتمع البشرى بسبب البطالة تزايد باستمرار من تاريخ الثورات الصناعية أى من أواخر القرن الثامن عشر الى وقتنا هذا وكان بحث مشكلات البطالة الشغل الشاغل للكثير من الاقتصاديين من جميع المدارس •• ومن المشـــهور أن اللورد كينز كان ينعى على النظـــام الرأسمالى فشله فى تحقيق أمرين هما هدف الدراسات الاقتصادية فى تقديره الخاص •• وهذان الأمران هما القضاء على البطالة والتقريب بين الدخول والثروات ومعلوم كذلك أنه من أهم ما يدعيـــه الفكر الاشتراكى تخليص الأجراء من تحكم رأس المـــال وتضحية مصلحة الأجير من أجل تحقيق الربح الاحتكارى ومعنى ذلك فى زعم الاشتراكيين أنهم يقيمون مذهبهم على دعائم منها ألا يبقى مجال لتعطل الأيدى العاملة •• ومن العجيب حقا أن تتفق المذاهب الاقتصادية على السعى نحو تحقيق العمالة الكاملة وحصر البطـــالة فى أضيق نطاق ممكن ثم تبقى مع ذلك فرص العمـــل نهبا للنســـاء فى غير ضرورة وتقفل أبواب الكسب فى وجوه الرجـــال !! وفى رأينا أن هذا دليـــل على فشـــل الاقتصـــاد السياسى لأنه يقوم فى كثير من قضاياه على الفكر الانسانى ولا يلتفت الى رسالات السماء •• يقول الله جل شأنه : **« الرجال قوامون على النســـاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »**(١) وانه لجدير بنظـــر المســـلمين فى حدود دار الاســـلام على أقل تقدير أن ينظـــروا الى آيات الله وأن يلتزموا بما فيها من هدى ورشاد فهذا أولى من الدخول فى تجارب لا تتفق مع الفطرة ولا تخلو من المخاطر ••

٣ — قد يبالغ رب العمل فى تدريب المرأة ومنحها فرص الترقى على أمل أن تستمر فى خدمة منشأته أو فى خدمة منشأة أخرى ، ومن ثم تكون التكلفة التى تحملها رب العمل عنصرا من عناصر رأس المـــال القوى أى بمثابة استثمار •• ولكن الذى يحدث هو أن المرأة اذا وجدت زوجا يحمل عنها تكاليف الحياة الاقتصادية ورزقت ولدا تعكف على تنشئته •• فانهـــا تسقط من حسابها جميع فرص العمـــل على عكس الرجال •• ولذلك حفلت مراجع الاقتصاد التى أنشأها كتاب ثقات بتحليـــل العوامل الاقتصادية التى تحمل دوائر الأعمـــال على تخفيض مستويات أجور

---

(١) النساء : ٣٤

النساء •• وقالوا ذلك قولا صريحا •• كقــول بعضهم : « ان المرأة العاملة تهرب من سوق العمــل مع أول زوج تراه صــالحا » والحق أن هذا التعبير غير منصف من حيث وصف اتجاه المرأة الى الاستقرار بأنه هروب •• ولكن العقلية المــادية الطاغية على كتاب الاقتصاد السياسى فى الغرب وفى الشرق تجعلنا نكتفى منهم بهذا الاعتراف ، وبالتحليــل العلمى لأسباب انخفاض مستويات أجور النساء • وهذا أمر مشهور لا يثير جدالا وانما نذكره هنا لمن لم يتسع وقته للاطلاع على القدر الكافى من مكتبة الاقتصــاد السياسى •• ولا يغض من قيمته ما نراه اليوم من حرص بعض النســاء على الوظيفة •• حتى بعد الزواج والانجاب •• لأن هذه حالة عارضة ترجع الى ارتفاع تكاليف المعيشة •

٤ ــ احتمال المرأة للأعمــال الشــاقة محدود وأجهزتها الحيوية مهيأة لغير الشــقاء فى سبيل كسب المعاش •• ومن ثم كانت الثقة بها محدودة •• فهى مثلا لا تقود الطائرات ولا السفن ولا القاطرات ولا الحافلات الكبرى •• هذه أمثلة مشهورة تدلنا على أن التسوية المزعومة بين الجنسين فى تشغيل كل منهما هى من قبيل الاسراف فى جرأة الانسان على التنظيم الذى أراده الخالق عز وجل للأسرة وما بين أفرادها من تفاوت وفقا للتخصص الوظيفى الذى يباشره كل منهما فى الحياة الدنيا •

٥ ــ للمرأة أحوال خاصة تترتب على وظائفها الطبيعية حين تكون زوجة وأما •• وهذه الأحوال الخاصة تنعكس على استعدادها البدنى والنفسى حين تباشر واجبات الوظيفة •• وقد أجهد المشرع الوضعى نفســه فى صياغة القواعد والأحكام والقوانين واللوائح للتخفيف عن المرأة العاملة حين تكون حاملا ومرضعا •• ولقد أصبحت هذه القضية مدعاة للتندر بين الرجال والنســاء اذ تخرج المرأة ساعة للرضاعة وتنقطع بضعة أشــهر بمناسبة الوضع والنفاس •• ومن العبارات المشــهورة قولهم : « اذا كان الأمر واضحا لم يزده الشرح الا غموضا » •

٦ ــ غياب المرأة عن دارهــا يحرم الأطفال من الرعاية والتربية فى السنوات الأولى قبل الالتحاق برياض الأطفال كما يحرم الناشئين من الفتيان والفتيات من توجيه الأم التى تعود الى دارها مجهدة من العمــل ، وكذلك الحال مع الآباء •• والنتيجة الحتمية هى هبوط مستوى

الأجيـــال •• ولقد ظهر هذا بوضوح مع تقدم القرن العشرين فظهرت فرق من الرجال ولا رجال وظهرت جماعات من الفتيات وليس لهن من خصائص الفتيات حياء ولا عفة ولا حفظ للغائب •• « وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم »(١) •

٧ ـــ تشغيل النســـاء يؤدى الى خروجهن من البيوت فى مواعيد العمـــل فتزدحم وسائل المواصلات والطرقـــات كما تزدحم المصالح الحكومية ودوائر الأعمـــال الخاصة ويترتب على هذا التزاحم عجز فى المرافق العامة كوسائل المواصلات •• وعجز فى الانتاج •• وقد أصبحت هذه الظاهرة ملموسة وتسلم بها التقارير الرسمية وتؤيدها المشاهدة فى أوسع نطاق ، ومع التكرار تتراكم الآثار •• فلا شبهة اذن فى أن ما نقرره هنا هو أمر معروف ولكن المجتمع الانســـانى فقد الجرأة على رفع الصوت بكلمة الحق •• أو نقول ان الجيل الحاضر على أقل تقدير قد فقد هذه الجرأة •• وانه لجيل ضائع •• ومن أسباب الضياع ما نحن بصدده هنا من طغيان النســـاء على خصائص الرجال •• وأولها كسب المعاش وتخنث الشبان وتشبههم بالفتيات فى المظهر وفى المخبر •• كل ذلك بحجة التقدميـــة وبحجة التغيير والتمدن والأخذ بأســـباب الحضارة •• وكل هذا من لغو الكلام ••

٨ ـــ حين ينظر رب الأسرة فى ميزانيته الخاصة بقصد احصاء الدخل من اشتغال الزوجة وخصم النفقات التى تتكلفها هذه الزوجة وهى فى سبيل كسب المعاش فكم يكون الصـــافى ؟ وهل يصل هذا الايراد الصـــافى حدا يبرر التضحيات بحاضر البنين والبنات وبالمستقبل فى الوقت ذاته ؟

وحين يخلص الخبراء المشتغلون بالحسابات القومية فى أداء عملهم •• فهل يجدون أن تشغيل النســـاء قد عاد على الدخل القومى بفائض يبرر الدمار الذى يصيب الأسرة ويمتد من جيل الى جيل ؟

---

(١) فى تقرير حديث لليونيسيف أن ١٨٪ من الأحداث المنحرفين من أبناء أسر يعمل فيها الأب الأم خارج الدار وتبدو الأسرة مستقرة ماليا ـ والآية من سورة البقرة : ٤٩

نحن لا نسوق القول هنا استنادا الى الرأى البادى ، أو الملاحظة الفجة بل نقرره ونسجله بعد كثير من تبادل وجهات النظر مع المنصفين ومع المكابرين •• وانهـــا لقضيـــة بالغة الخطورة غفل عنها المجتمع الاسلامى حتى عاد تشغيل النســـاء مشكلة عويصة تضر بالاقتصاد القومى فى حاضره وفى مستقبله وتهدد الأمة الاسلامية بأفدح النكبات •

نريد أن نرفع القلم عند هذا الحد ونفضل تفويض القارىء فى أن يتأمل فيما انتهت اليه المجتمعات الغربية والشرقية التى انتشر فيها تشغيل النســـاء حتى سلم المجتمع بكل فاسد من العلاقات وحتى هانت الأعراض واختلطت الأنساب وظهرت فى المجتمعات المعاصرة ظاهرات لا تمت لحياة الآدمى بصلة بل هى أشبه بحياة البهائم •• ومن بهيمة الأنعـــام ما لا يهبط الى الدرك الذى انتهى اليه الانســـان •

٩ ــ يترتب على تشغيل النســـاء مشكلات اجتماعية يصعب التغلب عليها •• ومنها ما يصطدم ببعض أحكام الشرع ومن ذلك مثلا حين يتزاحم الرجـــال والنســـاء على فرص العمل المحدودة فقد تفوز المرأة بالوظيفة ويفشـــل الرجل ويبقى متعطلا عن العمـــل •• وقد يحدث هذا فى أسرة واحدة •• وقد يدب الخلاف بين الزوجين وتتمسك المرأة بحقوقها الشرعية وتطالب بالنفقة وهو متعطل ، وقد يعجز الرجل وقد لا تقتصد المرأة فى استعمال حقوقها التى كفلها لها القانون فتطالب بحبس زوجها فيحبس وعند هذا الحد نتوقف قليلا لنسائل المصلحين الداعين الى تشغيل النســـاء •• نسائلهم هل تسقط نفقة الزوجة لأن لها وظيفة ؟ وهل يعفى الرجل من التكليف بالانفاق على زوجته وعياله لأنه متعطل ؟ • وهل يجوز للرجل الذى فقد وظيفته بسبب شغلها بامرأة سواء أكانت زوجته أو غيرهـــا من النســـاء •• هل يجوز لهذا الرجل أن يطالب بالنفقة من الزوجة أو غيرها ؟ !

ان الاجابة عن هذه الأسئلة توضح لنا الى أى حد يعمـــل الناس على تصعيب الحياة الاقتصـــادية وافســـاد الأوضاع القدســـية التى أرادهـــا الله جل شأنه لمجتمع بشرى تحفه الطهارة وينعم بالاستقرار •

ثم نعود لمساءلة المصلحين أو أدعياء الاصلاح عن مشكلات المعاش للزوجة العاملة وللزوج العامل والجمع بين المعاشين بعد الجمع بين

الأجرين •• وكل ذلك فى الوقت الذى توجد فيه أسرة أخرى لا يجد فيها الزوجان عملا بأجر ولا معاشا ولا ضمانا فى حالة البطالة والعجز ، ثم نقول إن المشكلات التى تترتب على هذا الفســـاد أخطر من أن تعالج فى حيز محدود وبحسبنا ما نراه من تعديل بعد تعديل •• فى كل ما تقدم بيانه من أوضاع مرتجة •• يقال لها حقوق المرأة العاملة •• فلا يكاد يمر عام واحد دون صدور المزيد من التشريعات •

بقى التنبيه الى أن اعفاء المرأة من كسب المعاش كما أراد لها الله جل شأنه حين وضع تكاليف حياتها على كاهل الرجل وأن تقرير حقها فى البقـــاء بالدار لممارسة واجباتها التى لا يحسنها الرجال •• بقى التنبيه الى أن هذا القول الذى نقرره لا يتنافى مع أمرين :

* الأمر الأول : أن حقها فى التعليم ثابت وأن جميع حقوقها المدنية والشخصية ثابتة بالنص القرآنى الكريم وبالسنة الشريفة •• فلا مجال اذن لـــا قد يزعمه الزاعمون بأن اختصاص المرأة بوظائفها معناه حرمانها من نور العلم •• فهذا افتراء ومغالطة •• التعليم شىء وكسب المعاش شىء آخر ••

* الأمر الثانى : أن اشتغال المرأة ببعض الوظائف التى لا تنبغى للرجـــال وقد تقدمت الاشارة الى ذلك يعود على المجتمع بآثار طيبة •• ولذلك يتعين انصـــاف المرأة العاملة فى مجال تخصصها بتخفيف أعبائها الوظيفية واكرامها عند تقدير الأجر وغيره من المزايا المكملة له •• ومن ذلك مثلا :

المرأة التى تشتغل بتعليم الأطفـــال أو بتعليم البنات تعطى من الواجبات الوظيفية أقل من نصيب الرجل وتعطى من الأجر ما يشجعها على الاستمرار فى حمل هذه الأمانة الى جانب واجباتها الطبيعية التى لا مفر منها — وعندنا أن المرأة العاملة فى المجال الذى ينبغى للنســـاء تتفضل على المجتمع وتتحمل من التضحيات ما يجب اعتباره من قبيل العمل الاضافى فى جداول الأجور •

واذا أردنا وضع معيار لا يخطىء فيما نحن بصدده لقلنا : « يقاس ارتقاء المجتمع وحرصه على القيم الانسانية بمدى تحصينه لحقوق المرأة ورفعها فوق الحاجة الى كسب معاشها » •

وما جئنا بجديد .. فما هذا الذى نقول به الا تذكير ببعض ما جاءت به الشريعة الاسـلامية .. ومعلوم أن أحكامها تنفرد بالسمو وبالشمول وبالثبات .. هذا عند قوم يعقلون .

وفى الأحداث المعاصرة ما يدعو الى تكرار التنبيه والتحذير .. فقد ازدادت حدة الانحراف بين الشباب والفتيات واتسعت دائرة تشغيل النسـاء ولأول مرة فى تاريخ مصر .. نرى مدرسـة للسـكرتيرات العسكريات .. وفى كل ستة أشهر تتخرج دفعة من السكرتيرات تبلغ بضع مئات .. وتوزع على مكاتب الضباط للقيـام بأعـمال المخازن والعلاقات العامة والنشـاط المكتبى بوجه عام .. وقيل فى تبرير هذا الاتجاه : ان الجيش فى حاجة الى الرجال جميعا لحمل السلاح .. ؟ فواعجبا !! ان مصر قد ضاقت بالبطالة وبالمتعطلين وهم يعدون بالملايين .. ان مصر تشكو من وفرة الأيدى وقلة العمل وتنادى بتحديد النسـل .. ثم يقـال بأن فى عدد الرجـال ندرة يشكو منها الجيش .. ولذلك يريد بعض المسئولين اعفاء الذكور من خدمات المكاتب العسكرية ؟ .. هذا منطق غير مقبول جملة وتفصيلا .. هذا من حيث الجدل البحت .. وما كان لبلد يتمسك بالاسلام دينا أن ينسى المثل الأعلى للمرأة وهو القرار فى الدار ..

وليرحم الله فقهاءنا الأعلام فمنهم من كره عقد الشركة بين الذكور والاناث مخافة الفتنة .. فكيف بنا نسوق النساء سوقا الى المكاتب والحافلات والجامعات .. ؟ وكيف بنا وقد أخذنا فى مزيد من هذا الأمر الفاضح .. حتى أنشأنا المدارس المختلطة من سن مبكرة .. لتعويد الجنسين على (المعايشة السلمية) « الا ساء ما يزرون »(١)

* * *

(١) النحل : ٢٥

رأى الطب

وبعد ما قدمنا من آراء العلمــاء والفقهاء فى تشغيل المرأة لا سيما فى هذه الصورة المعاصرة الرهيبة نثبت هنا رأيا للطب لعله أن يكون أكثر اقناعا فى عالم غلبت عليه المــادية وأصبح لا يؤمن الا بأوثان ملموسة أو براهين محسوسة .

وهو رأى الدكتور أحمد عيسى أستاذ طب الأطفال بجامعة الأزهر .. يقول فى مقاله بجريدة « الأخبار » القاهرية(١) :

« منذ عدة شــهور تقدم عضو مجلس الشعب السيد سعد الدين الشريف بمشروع بالغ الأهمية يهدف الى منح الأمهات العاملات اجازة مؤقتة لرعاية أطفالهن .

وقد أثار هذا المشروع جدلا حادا وضجة كبرى ، وفجأة هدأ كل شيء وانتهى الى صمت رهيب .

وعلى كل فان هذا المشروع علامة صحية أثارت اهتمامنا نحن أطباء الأطفــال الذين يهمهم فى المقام الأول صحة الطفل الذى يمثل أربعين فى المــائة من المجتمع المصرى .

وفى يقينى أن صحة الطفل لا تهم أطباء الأطفال وحدهم بل يشاركهم فى هذا الاهتمام كل من يهدف الى اعادة بناء مصرنا العزيزة على أساس صحى متين .

وقد تابعت هذه المناقشات باحثا عن بعض الحقائق التى أدركتها قبلنا معظم دول العالم ولكن للأسف لم يتطرق اليها أحد من المجادلين .. وذلك نتيجة اللجوء الى العاطفة دون البحث عن النتائج التى توصل اليها الباحثون العالميون فى هذا المجال ..

واننى أضع هذه النتائج أمام جميع الأطراف دون تعقيب ومنها يستطيع الجميع تكوين آرائهم بعيدا عن العاطفة ..

---

(١) عدد ١٧ اكتوبر سنة ١٩٧٧ .

فقد التقيت فى شهر يوليو من العام الماضى بالبروفيسور بتلر أستاذ الولادة بجامعة لندن وأخذت أراجع معه نتائج احصائياته الشهرية التى أجراها على الأمهات والأطفال منذ الولادة وحتى السنة الخامسة من العمر .. وقد أجرى هذا البحث بواسطة فريق كبير من الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والمعلمين والممرضات وخبراء الصحة العامة والتغذية وعلماء الاحصاء .. الخ . مما أضفى على البحث صبغة التكامل والدقة وقد أشارت النتائج الى الحقائق التالية :

أولا : نسبة الاجهاض مرتفعة بين السيدات العاملات ..

ثانيا : ولادة الأطفال المبتسرين أى ناقصى الوزن أو المولودين قبل الموعد الطبيعى عالية عند الأمهات العاملات .

ثالثا : نسبة التشوهات الخلقية أقل عند الأمهات غير العاملات واللاتى لا يتعرضن لأخطار المهن .

رابعا : نسبة الوفاة عند الأطفال حديثى الولادة مرتفعة اذا كانت الأم موظفة .

خامسا : ادمان التدخين والخمور أكثر شيوعا عند السيدات الموظفات مما يؤثر تأثيرا سيئا على صحة الجنين .

سادسا : الاستقرار المنزلى والارتباط الأسرى أصبحا من الظواهر النادرة فى المجتمع الانجليزى بعد انغماس الأب والأم كليهما فى العمل .

سابعا : الاضطرابات النفسية الخفيفة والتبول اللاارادى أكثر شيوعا بين أبناء الموظفات .

ثامنا : بمراجعة مستويات النمو الذهنى والجسمانى بين الأطفال فى فترة زمنية محدودة « خمس سنوات » ومتابعة كل طفل على حدة منذ الولادة ، وحتى عمر الخمس سنوات وجد أن ذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بعدد الساعات التى تقضيها الأم مع طفلها ونوعية الغذاء المقدم له ، وهل كانت الرضاعة طبيعية أم صناعية ؟

ألبان ليست لهم ! :

وقد تأكدت هذه الحقائق الخاصة بنمو الطفل فى بحث مستفيض آخر أجرى منذ عامين فى « بومباى » بالهند حيث عرض علينا البروفيسور « أدوان » رئيس قسم الأطفال بجامعة « بومباى » هذه النتائج المثيرة التى أشارت الى تخلف الأطفال فى نموهم اذا استمرت رضاعتهم بالألبان الصناعية حتى الفطام .

والأكثر اثارة ما جاء مؤخرا فى أبحاث الدكتور « هاريس » بلندن والبروفيسور « جيليف » بأمريكا حيث اتضح أن تكوين خلايا المخ عند الأطفال الذين تربوا على الألبان الصناعية يختلف عن الرضع من لبن الأم وذلك نتيجة الاختلاف فى الأحماض الدهنية والأحماض الأمينية فى كلا النوعين من الحليب ، وقد ختم الدكتور « جيليف » الذى قضى معظم سنوات عمله فى افريقيا والبلاد النامية مقاله بجملة لا تنسى وهى :

« ان الخالق سبحانه وتعالى خلق لبن البقر لوليد البقر ، ولبن الماعز لوليد الماعز ، ولبن الخنزير لوليد الخنازير ، كل حسب تكوينه ونسبة نموه فلماذا نعرض أطفالنا لألبان لم تخلق لهم ونلقى بهبة الله التى خلقها لهم فى المهملات » ؟

والتغذية الصناعية .. مكلفة :

هذا من الناحية العلمية والطبية .. أما من الناحية الاقتصادية فقد درست هيئة الصحة العالمية هذه المشكلة دراسة مستفيضة ونشرت أبحاثها فى دوريات متتالية فى السنوات الأخيرة وما زالت النتائج تنهال علينا بصورة متتابعة .

وقد شمل أحد هذه الأبحاث دراسة احصائية عن تكاليف الغذاء الصناعى من عدة دول منها المتقدم الغنى والفقير النامى مع مقارنة النفقات بين العائلات الفقيرة والغنية فى كل دولة .

ففى انجلترا وجد أن التغذية الصناعية تستهلك ربع دخل الأسرة الفقيرة وسدس الدخل من الأسرة المتوسطة ونفس هذه النسبة وجدت فى قطر والبحرين وهما من الدول الغنية .

أما فى السودان فان الغذاء الصناعى يستهلك ٥٠٪ من دخل أسرة العامل و ٣٥٪ من مرتب الموظف الجامعى وفى مصر فان العامل ينفق

٣٨٪ من دخله على الألبان الصناعية (رغم دعم الدولة لهذه الألبان) و ٢٠٪ من مرتب الموظف الجامعى ..

وهكذا نجد أن نسبة كبيرة من دخل كل أسرة تنفق فى غذاء خارجى بينما الأم تحمل فى صدرها الغذاء الطبيعى النادر المثال دون أدنى نفقات .

وأمراض .. الطفولة :

واذا تجاوزنا نفقات الطعام التى تنفقها الأم العاملة على رضيعها الى المصروفات الأخرى التى تضطر الى بذلها نتيجة انفصالها عن الطفل معظم ساعات النهار فسوف تدرك الأم أنها هى الخاسرة فى النهاية اذا كانت تعتبر العمـــل هو مصدر دعم لدخل الأسرة .

فبالاضافة الى دور الحضانة هناك تكاليف المواصلات ومصاعبها ومتطلبات مصروفات المظاهر الضرورية للمرأة العاملة مما لا يخفى على أحـــد .

ولكن الذى ينبغى ادراكه هو حقيقة تخفى على الكثيرات ذلك أن معظم أمراض الطفولة ناتجة عن القصور فى الرعاية فى خلال العامين الأولين من العمر فالخادمة بالمنزل ليست بديلا للأم ودور الحضانة مصدر معروف لنقل العدوى بين الأطفال ولا يمكن أن تكون بدائل للبيوت .

والأمهات العاملات يستطعن أن يحصين عدد المرات التى يسقط فيها الرضيع مريضا خلال عام واحد ومدى ما تتكبده الأسرة من تكاليف علاج للمرض ومضاعفاته فضلا عن الارتباك فى المنزل والعمل الذى يصيب عائل الأسرة عند مرض أحد أبنائه .

أضف الى ذلك حقيقة بالغة الخطورة .. هى أن أمراض الطفولة تحدد بصورة قاطعة مستقبل الطفل فى شبابه من حيث اللياقة الجسمانية والعقلية ويشهد على ذلك تلك النسبة الكبيرة من شبابنا غير اللائقين للخدمة العسكرية فلين العظام وما يتبعه من تشوهات جسمانية وقصر القامة وضعف الابصار والعشى الليلى جميعها لها جذور من حالة الطفل الصحية فى شهوره الأولى .

وفى النهاية لن يكون تكرارا اذا ركزت على التأكد أن اصابة الطفل بالأمراض يشكل عبئا ثقيلا على الأسرة وعلى المستشفيات ويكلف الدولة تكاليف باهظة فضلا عن فقدان مصرنا العزيزة لاحدى لبنات بنائها » ..

* * *

ونضيف الى ما ذكره الدكتور أحمد عيسى ما أثبته تقرير حديث لهيئة اليونيسيف التـــابعة للأمم المتحدة من أن ١٨٪ من الأحـــداث المنحرفين من أبناء أسر يعمل فيها الأب والأم خارج الدار وتبدو أسرهم مستقرة ماليـــا •• لأن هذا الاستقرار المـــالى لن يعوض الأطفال أو المراهقين حنان الأم وتوجيهها الرفيق وأخذهـــا بأيديهم •

وان مشروع الفريق سعد الدين الشريف الذى أشار اليه الدكتور أحمد عيسى فى صدر مقاله كان يرمى أيضا الى أن تستقر الزوجة فى البيت مقابل نصف المرتب الذى كانت تتقاضاه لترعى بيتها وتقوم بشئونه وهى بذلك ستحقق دخلا للأسرة لا يقل عن ضعف صافى العائد من عملها •

وفى نفس الوقت سيسهم فى حل مشاكل من أعصى مشاكل المجتمع المصرى التى يعانيهـــا حاليـــا مثل مشكلة المواصلات التى تزدحم بالنساء العاملات بشكل مهين لا أقول للمرأة فقط بل للآدمية •

وسيحل مشكلة العاملات فى البيوت اللائى يشكلن أكبر جناية على أبناء السيدات العاملات •

وسيحل بعضـــا من مشكلة البطالة التى يعـــانى منها كثير من الشباب •• وهل يخفى أن خريج الجامعة ينتظر متعطلا خطاب القوى العاملة بتشغيله سنة أو سنتين وهو التشغيل الذى يحقق له أدنى الأجور كما أن خريج الثانوية التجارية أو غيرها ينتظر ثلاثة أعوام ليصله هذا الخطاب أو أكثر من ذلك حين تجد له الدولة فرصة العمل ••

وقبل كل ذلك سيعيد مشروع الفريق سعد الدين — لو أخذ به — الى البيت الرحمة والسكينة بدلا من الشقاق والخلاف على المرتب وتقسيم المصروفات ••

يقول تعـــالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفســـكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيـــات لقوم يتفكرون** »(١) •

---

(١) الروم : ٢١

وخلاصة القول .. ان الاسلام تشريع اللطيف الخبير الذى يعلم من خلق قد قسم الأعمـال كما قسم الأرزاق وأراد للمجتمع المسلم آن يكون مجتمعا نظيفا طاهرا سداه الرحمة ولحمته المحبة .. أراد صيانة الأعراض والأنساب .. آراد الحفاظ على كرامة المرأة المسلمة فخصهـا بمملكة ومسئولية كبيرة ترعاها وألزم الرجل بالعمل خارج البيت والصفق فى الأسواق والسعى فى سبيل من يعول ، وكل ميسر لمـا خلق له .

ومع ذلك فهو لم يحرم على المرأة العمل تحريما قاطعا بل أباح لها أن تعمل لتعول نفسـها أو من تلزمها نفقتهم فيما يتفق وطبيعتها كأنثى وأن تخرج فى حدود الكمال والخلق الاسـلامى اذا لم تجد فى تلك السلسلة الطويلة التى حددتهـا الشريعة من يقوم بشئون رزقها .

ولعل فيما قدمنا من رأى الطب وعلماء الاجتماع وما نلمسه جميعا من واقع الحياة والمعايشة اليومية ما يقنع الجميع برأى الاسلام وهو الرأى الحق وهو الأمن والسلام للمجتمع المسلم ..

لعلها تعود السكن والرحمة كما أراد لها الله تعالى .

* * *

الفصل الرابع

البطالة

* الهدف تحقيق العمالة الكاملة .
* مسئولية الدولة عن العمل .
* العمل فى العالم الاسلامى .

الهدف تحقيق العمالة الكاملة

يقول اللورد « جون مينارد كينز » فى كتابه « النظرية العامة للعمالة والفائدة والنقود » : « .. ان هدف كل نظام اقتصـــادى هو تحقيق العمالة الكاملة ويذكر أن من ضمن الوسائل — التى تعين على تحقيق هذا الهدف — تخفيض سعر الفائدة على النقود الى أن يصل الى صفر لأن سعر الفائدة عامل معوق للتقدم بما يضعه من قيود ثقيلة على رغبة صاحب العمل فى التوسع وزيادة رأس المـــال المستثمر » .

وما يقوله اللورد كينز قرره الاسلام منذ أربعة عشر قرنا عندما حرم الربا بأنواعه ولم يسمح بأى نسبة منه « **فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** »(1) ..

لكن غاب عن لورد كينز طبيب الرأسمالية فى القرن العشرين شمول الاسلام لنظم الحياة فلم يعرف العلاج الاسلامى الفعال أو الشق الآخر من العلاج والذى تعترف به النظريات الاقتصادية الحديثة ضمنا عندما تقرر أن السوق المحلية هى أضمن الأسواق ويجب أن تكون أيضا أوسع الأسواق ..

ويعمل الاسلام على تحقيق سعة السوق المحلية بتوسيع قاعدة الاستهلاك عن طريق :

١ — الزكاة وهى ركن من أركان الاسلام أوجب على الغنى أن يدفعها وأوجب على الدولة أن تخصص لها ميزانية منفصلة عن ميزانية الدولة العامة كما أوجب أن تصرف فى مصارفها المحددة وأولها الفقير والمسكين ليكونوا قوة شرائية متزايدة فى السوق .

٢ — نظام المواريث الذى يفتت الثروات ويزيد فى عدد الملاك وبذلك يرتفع مستوى الدخل عند أعداد متزايدة من أفراد الأمة .

وكلما اتسع نطاق السوق المحليـــة بزيادة الاستهلاك كلما نشـــط المنتجون من زراع وصناع لتوسيع أعمالهم وزيادة انتاجهم مما يزيد فرص العمل المتاحة للناس .

---

(1) البقرة : ٢٧٩

والاسلام لا يكتفى بهذا بل انه يحارب كنز المـــال ويعمل على أن يدفع بكل مليم الى ميدان الانتاج وما الزكاة والصدقات الا حافز لرؤوس الأموال على الخروج الى ميادين العمل المختلفة حتى لا تأكلها الصدقة ..

وان ولى اليتيم مطالب فى الاسلام أيضا بأن ينمى مال اليتيم ولا يتركه كنزا معطلا .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة » ..

بل ان الاسلام لينذر صاحب الكنز بأشد العذاب يوم القيامة لأن الله ما استخلفه فى مال الله الا ليخدم به الخلق عيال الله فيعز أمة الله فى الأرض ..

يقول الحق تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفســكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »(١) .

ويقول سبحانه :

« كلا انها لظى . نزاعة للشوى . تدعوا من أدبر وتولى . وجمع فأوعى »(٢) .

ويقول الامام القرطبى تعليقا على رأى أبى ذر الغفارى رضى الله عنه الذى ذهب الى أن الكنز هو كل ما فضل عن حاجة الانسان وضروراته :

« وهو من شدائده — أى أبى ذر — وما انفرد به رضى الله عنه .

قلت ويحتمل أن يكون مجمــل ما روى عن أبى ذر فى هــذا ما روى أن الآية نزلت فى وقت شدة الحاجة وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كفايتهم ولم يكن فى بيت المـــال ما يشبعهم وكانت السنون جوائح هاجمة عليهم فنهوا عن امســـاك شىء من المـــال الا قدر الحاجة . ولا يجوز ادخار الذهب والفضة فى مثل ذلك الوقت .

(١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ (٢) المعارج : ١٥ — ١٨

فلما فتح الله على المسلمين ووسع عليهم أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائتى درهم خمسة دراهم ، وفى عشرين دينارا نصف دينار ، ولم يوجب الكل واعتبر مدة الاستنماء فكان ذلك منه بيانا صلى الله عليه وسلم .

وقرر الشرع ضبط المـــال وأداء حقه . ولو كان ضبط المـــال ممنوعا لكان حقه أن يخرج كله وليس فى الأمة من يلزم هذا وحسبك حال الصحابة وأموالهم رضوان الله عليهم .

قلت هذا الذى يليق بأبى ذر رضى الله عنه أن يقول به : وأن ما فضل عن الحاجة ليس بكنز اذا كان معدا فى سبيل الله » .

ونعتقد أن هذا هو مقصود الاسلام وكما قلنا ان المفهوم هو اخراج المـــال من مخابئه ليعمـــل فى سبيل الله بفتح أبواب الرزق لخلق الله .

ولابن خلدون(١) رأى قيم فى مفهوم الكنز بالنسبة للدولة وما يجب عليها فى فوائض أموالها .. يقول :

« .. فاذا احتجن السلطان الأموال أو الجبايات أو فقدت فلم يصرفها فى مصارفها قل حينئذ ما بأيدى الحاشية والحامية وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة للأسواق مما سواهم فيقع الكساد حينئذ فى الأسواق وتقل الأرباح فى المتاجر فيقل الخراج لذلك ، لأن الخراج والجباية انما يكون من الاعتمـــاد والمعاملات ونفاق — رواج — الأسواق وطلب الناس للفوائد والأرباح ، ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذ بقلة الخراج ..

فان الدولة كما قلنا هى السوق الأعظم أم الأسواق كلها وأصلها ومادتها فى الدخل والخراج فان كسدت وقلت مصـــاريفها فأجدر بما بعدهـــا من الأسواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه .

---

(١) فيلسوف اسلامى عظيم سبق عصره ووضع اسس الكثير من العلوم الانسانية التى نظن خطأ أن للغرب السبق فيها كعلوم الاجتماع والاقتصاد والسكان .

وأيضا فالمـــال متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله فى عباده » ..

وقد أورد ابن خلدون نص الكتاب المشـــهور الذى كتبه طاهر ابن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لمـــا ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما .. عهد اليه فيه ووصـــاه بجميع ما يحتاج اليه فى دولته وسلطانه ومما كتبه فى هذا الكتاب وما نحن بصدده :

« .. واعلم أن الأموال اذا كنزت وادخرت فى الخزائن لا تنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الأذية عنهم نمت وزكت وصلحت به العامة وبرحت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة ..

فليكن كنز خزانتك تفريق الأموال فى عمارة الاسلام وأهله . وفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشـــهم فانك ان فعلت قرت النعمة لك واستوجب المزيد من الله تعـــالى وكنت بذلك على جباية أموال رعيتك وخراجك أقدر وكان الجميع لمـــا شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك »(1) .

ويترجم هذا الـــكلام الدكتور شوقى اسماعيـــل شحاتة الى لغة الاقتصـــاد الحديث فى قوله عن العلاقة التى تحكم عرض النقود والطلب عليها فى غيبة نظام سعر الفائدة ووفقا للمبادىء الاسلامية : « ان هذه العلاقة تحكمها :

١ ــ حتمية تزاوج النقود مع عنصر أو أكثر من عناصر الانتاج لكى يكون لها نماء بالفعل وأن عائد الاستثمار يتحدد وفقا لمبدأ الغنم بالغرم ..

٢ ــ الاحتفاظ بالنقود يشكل تكلفة قدرها ٢,٥٪ سنويا كزكاة نقود على الأرصدة النقدية المملوكة لصاحبها متى بلغت نصابا وحال عليها الحول .

---

(١) مفاهيم ومبادىء فى الاقتصاد الاسلامى لشوقى اسماعيل شحاتة ص ٣٩

٣ — عائد توظيف النقود فى القروض فى الاقتصــاد الاسلامى يساوى صفرا وهو نفس عائد الاحتفاظ بالنقود فى سيولة كاملة مائة فى المــائة •

٤ — عائد استثمار النقود بتزاوجها مع عنصر أو أكثر من عناصر الانتاج قد يكون ربحا أو خسارة وليس ثمنا فى جميع الأحوال •

٥ — الحافز على الاستثمار فى الفكر الاسلامى هو التنمية فان زكاة النقود تكاد تأكلها فلا يكون اخراج الزكاة من رأس المــال بل من الربح • والادخار اعداد لسبيل الله والاستثمار انفاق فى سبيل الله. أما الاكتناز وحبس النقود فهو صد عن سبيل الله وفى الحديث الشريف : « ثمروا أموالكم فان الزكاة تكاد تأكلها »(١) •

بينما فى ظل النظام الرأسمالى يعمل أصحاب الأعمال على تكديس فائض القيمة كاحتياطى لضمان رأس المــال الثابت ثم يلجأون الى استخدام هذا الاحتياطى فى قروض قصيرة الأجل بفوائد ربوية •

وهما عيبان خطيران فى هذا النظام يحدان من فرص العمل وبالتالى زيادة الحاجة والفقر والبطالة •

وما يؤدى الى زيادة الحاجة والفقر والى زيادة البطالة يحرمه الاسلام ويمنعه ويجب على المسلمين أن يجتنبوه ايمانا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » •

وكفالة بيت المــال فى النظام الاسلامى ليست فى كون هذا البيت يرعى شئون الزكاة والخراج وما اليها مما يجمع أو يصل اليه من أموال المســلمين ولكن مع ذلك وقبل ذلك فى أن يتيح فرص العمــل ويمنع العوائق التى تحول دون أن تتاح لجميع الأفراد ولذا يسقط حد السرقة اذا لم يقم بيت المــال باتاحة فرصة العمل للســارق أو اذا لم يرعه بما يسد حاجته وعوزه فى حياته اليومية •

لأن الأصــل فى المسلم أن يعمــل ويكتسب والاسلام يعتبر العمال عنصرا أساسيا من عناصر الانتاج ويجعل العمــل ضربا من العبادة وكل

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠ ، ٦١

انســـان مرتهن بعمله ولذلك لا تحل الزكاة للقوى القادر على الاكتساب الا أن يكون كما يقول أبو عبيد : « مجدوداً عن الرزق محارفا(١) وهو فى ذلك مجتهد فى السعى على عياله حتى يعجزه الطلب فاذا كانت هذه حاله فان له حينئذ حقا فى أموال المسلمين لقول الله تبارك وتعـــالى : **« والذين فى أموالهم حق معلوم · للسائل والمحروم »(٢) ·**

أو بعبارة أخرى وبلغة العصر يعانى من البطالة الاجبارية وقد نوهنا بذلك حتى لا يتبادر الى بعض الأذهان خطأ أن مصارف الزكاة للفقراء والمساكين تقضى على حافز العمل أو تضعفه ·

* * *

(١) المحارف : من لا يصيب خيراً من وجه يتوجه له ·
(٢) المعارج : ٢٤ ، ٢٥

مسئولية الدولة عن العمل

وتتضح وجهة نظر الاســـلام فى حق العامل المتعطل على الدولة مما رواه البخـــارى من « أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب صدقة فأمره النبى بالانتظار ثم دعا بقدوم ودعا بيد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيها ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب الى مكان معين ليحتطب ويكسب قوته وقوت عياله وطلب اليه الرسول أن يعود اليه بعد أيام ليخبره بحاله .. » وقد أفلح الرجل فى تحسين حاله ..

والرسول صلى الله عليـــه وسلم ما كان ينطق عن الهوى وكانت أعماله تشريعا لهذه الأمة وهديه هو ما أمرنا باتباعه لأن الله تعالى يقول :

« وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله »(١) ..

ويقول جل شأنه : **« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهـــاكم عنه فانتهوا »**(٢) ..

فيكون فى هذه الرواية عنه صلى الله عليه وسلم تشريع خطير للعمل يتفق مع مسئولية الدولة ومسئولية الفرد التى يقررها قول الرسول عليه السلام : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ..

ونخرج من هذه الحادثة بالمبادىء الآتية :

الأول : أن المتعطلين كانوا يرون لهم حقوقا على الدولة فيذهبون الى ولى الأمر باسم هذه الحقوق ليدبر لهم أمرهم بما يراه .

الثانى : أن الدولة تقر المتعطلين على هذه الحقوق وتعترف بها ولا تنكرهـــا عليهم بدليـــل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمع الى شكاية الرجل ولم ينهره وأقره على حضوره ولم يطرده .

الثالث : أن الدولة لا تكتفى فقط بالاعتراف بحقوق المتعطلين بل تدبر لهم العمل فورا ولا تتركهم الى التسويف والمماطلة .. فقد رأينا الرسول عليه السلام لم يأمر الرجل بالانصراف الا بعد أن دبر له العمل والمكان الذى يعمل فيه وهذا أقصى ما تطمح اليه أنظار العمال فى العالم .

---

(١) النساء : ٦٤ (٢) الحشر : ٧

الرابع : اطمئنان الدولة على يسر العامل ورخائه • وقد رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتف بايجاد العمـــل للمتعطل بل طلب أن يعرف ما تصير اليه حاله ليطمئن عليه وهذا هو السمو الذى تفرد به الاسلام ولم تصل اليه شريعة من الشرائع أو نظام من الأنظمة • وما نظن العمال طمعوا فى مثل هذا •• ولكنه الاسلام دين الله ونعمته الجامعة لكل خير وسعادة •

الخامس : وهذا المبدأ الخامس أشار اليه الامام أبو حامد الغزالى فى كتابه « احياء علوم الدين » اذ ندب ولى الأمر بعد كل هذا لأن يزود العامل بآلة العمل • فللنجار آلة النجارين وللحداد آلة الحدادين وهكذا •• لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جهز الرجل بآلة العمل اذ أحضر القدوم ووضع لها اليد ودفعها اليه •• ولا يوجد فى العالم شريعة نصت على مثل هذا(١) •

والمفروض أن يتم تجهيز العامل الفقير بآلة العمل من أموال الزكاة حتى نضمن تحويله تدريجيا الى طاقة منتجة وزيادة طاقاته ودخله حتى يخرج من نطاق المتعطلين الى طاقة تضيف الى دخل الأمة •

والنبى صلى الله عليه وسلم حين يقول مشيدا بالعمـــل اليدوى : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمـــل يده وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده » ••

أو يقول : « ان الله يحب العبد المحترف » ••

فهو عليه الصلاة والسلام يرشدنا الى دواء ناجع للبطالة •

ولعلنا فى مصر اليوم نعانى من الكثرة الكبيرة من الشباب الذى يأنف من العمل اليدوى ويؤثر الوظيفة الادارية أو الكتابية على العمل الفنى مما أثر على أفراد الشعب لا سيما بعد أن هاجر كثير من عمالنا الفنيين الى خارج البلاد •

مما يدعونا لأن نهيب بالمسئولين لادخال أنواع التعليم الفنى أو بعض أنواع الحرف اليدوية فى برامج التعليم الثانوى بما يسمح للطلبة بالالمـــام بشىء من الصناعات أو المهارة فى أى عمل من الأعمال اليدوية

---

(١) الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية للبهى الخولى ص ٧٩

حتى لا تسد فى وجه الطالب أبواب الرزق اذا لم يسعفه الحظ باتمام مراحل التعليم العـالى وحتى ننزع من نفوس الشباب الاستعلاء على مثل هذه الأعمال وان لنا دائما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة فهو عليه السلام لم يستنكف من العمل كما عمل أصحابه ولو فى جمع الحطب أو حفر الخندق حول المدينة المنورة فى غزوة الأحزاب .

ولا ننسى ما أوجده الاسلام من حوافز أخرى للعمل والاعمار فى الأرض .. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحيا أرضا ميتة فهى له » .. ليدفع بالمسلمين الى العمل ويشجعهم على تعمير الأرض سواء بالزراعة أو البناء فيخلقوا بذلك فرص العمل لأنفسهم ويعمروا الصحراء المنتشرة حولهم ويصونوا أنفسهم من سوءات البطالة ومذلة الحاجة .

وخلاصة القول فى هذا الباب :

١ — أن الأصل فى الاسلام ألا بطالة للرجل السوى .
٢ — تحريم الكنز لتخرج أموال المسلمين لميادين النشاط الاقتصادى المختلفة فتخلق فرص العمـل للعباد .
٣ — مسئولية الدولة عن ايجاد العمل للمتعطلين .
٤ — التشجيع على الاحتراف .
٥ — حفز الناس على اعمار الأرض الميتة بتمليكهم اياها اذا أحيوها .
٦ — مسئولية بيت المـال عن المتعطل اذا عجز عن ايجاد عمل لنفسه وهى مسئولية تمتد فى الاسلام الى كفالـة الشيخوخة والعجز والأولاد الضعاف اذا مات عائلهم .

* * *

العمـــل فى العـــالم الاســـلامى

منذ تأسيس الاتحاد الدولى لنقابات العمـــال العرب عام ١٩٥٦ على أساس عدم الانحياز وهو يعانى من التناقضات العنيفة .. فهناك :

١ ـــ تيار عمالى يرغب فى الانضمام الى الاتحاد العالمى لنقابات العمال الحر الذى تأسس فى لندن عـــام ١٩٤٩ وتشترك اسرائيل فى عضويته ويمثل التيار الليبرالى الرأسمالى فى صفوف العمال .

٢ ـــ وتيار ينخرط فى عضوية الاتحاد العالمى لنقابات العمال الذى تأسس فى باريس عام ١٩٤٥ ويمثل التيار الشيوعى فى صفوف الحركة العماليـــة .

٣ ـــ وتيار يتمسك بالحياد الايجابى .

« وقد لمست فى كثير من الاجتماعات العمالية العربية بكل أسف غلبة الفكر الشيوعى المـــاركسى على القيادات العمالية العربية وهذا يمثل خطورة بالغة على العمال المسلمين والعرب منهم بوجه خاص .

وهل يخفى أن الأيديولوجية المسيطرة على الاتحـــادات العمالية الدولية واحدة ـــ سواء رأسمالية أو شيوعية ـــ وبصـــمات اليهودية التلمودية واضحة الأثر فى مفاهيم الصراع والانشطارية وتفسير الأحداث وسير الأمم فى هذه التبعية .

فالرأسمالية والمـــاركسية كلاهما من منبع واحد هو امبراطورية الربا التى أقامتها الصهيونية العالمية .. وما الطبقة العاملة الا أداة للتنفيذ .

ان سيطرة المفاهيم المادية على واقع الحركة العمالية الدولية هو أحد جوانب الخطر على الحركة العماليـــة فى بلادنا ولابد أن نبدأ خطوة التحرر وكسر القيـــود والتماس الأصـــالة والعودة الى منابعنـــا حتى نعيد تنظيـــم مجتمعاتنا العربية وفق عقيدة الاســـلام »(١) ، لا سيما

---

(١) من بحث لاحمد عزت معنى فى عدد سبتمبر ١٩٧٧ من مجلة الدعوة القاهرية .

وقد أثبتت التجربة العملية والتطبيق فى كلا النظامين — الرأسمالى والشيوعى — الفشل المطبق والشقاء الغالب على مجتمعاتهما حتى أن اللورد كينز — طبيب الرأسمالية فى القرن العشرين — يقرر فى كتابه « النظرية العامة للعمالة والفائدة والنقود » :

« ان أهم الأخطاء البارزة فى اقتصادنا المعاصر اثنان هما :

أولا : الفشل فى تحقيق العمالة الكاملة .

ثانيا : التوزيع التحكمى الغاشم لكل من الثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة ولقد شهدت انجلترا من أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٣٥ تقدما هائلا فى نظم الضرائب من حيث عدالــة التوزيع فى أعبائها على كل من الدخل والثروة .. وقد استحدث من الضرائب على الايرادات والتركات ما كان جديرا به أن يقرب بعض الناس من بعض ..ولكن هذا لم يحدث بالقدر الكافى ..

ثم قال كينز : « بأن بعض أصحاب الرأى ينادون بمزيد من الضرائب لعل فى ذلك حلا للمشكلة .. ولكن يرد على ذلك بأن فداحة الضرائب تشجع على التهرب منها ومن ثم لا يعتبر هذا الحل فعالا بل لا يعتبر مأمون العواقب من النواحى الاقتصادية الخلقية ويتعين البحث عن غيره »(١) ..

وبعد نصف قرن من صيحات كينز واخوانه من الاقتصــاديين الرأسماليين لا يزال العامل فى العالم الرأسمالى يلهث وراء المال ليحقق مستوى الرفاهية المزعومة التى تبشره بها وسائل الاعلام فى بلاده أينما توجه حتى أصبح فى عبودية رهيبة لكسب عيشه المرتجى لا تقارن بها عبودية عصور الرق والاقطاع .

وبينما المــاركسية التى تتسمى باسم الاشتراكية العلمية وتصف الاسلام كدين بأنه مخدر للشعوب فى الوقت الذى يأمر فيه المولى عز وجل الرسول الكريم بأن يعلن فى صراحة قوله :

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون »(٢) .

---

(١) الاسلام دين الاشتراكية من بحث الدكتور عيسى عبده ص ١٥٩ .

(٢) الأنعام : ٥٠

فينفى كل أسباب الخداع فى الدعوة الى الاسلام من الوعود : بوفرة المـــال أو تأمين المستقبل عن طريق العلم بما سيأتى به الغد القريب أو البعيد ومن ادعاء التميز عن مستوى الانســـان لشخصه مما يحقق له التبعية فضلا عن القداسة بل ويأمر بالنظر والتفكر .

هذه المـــاركسية تعد فى خداع سافر بغد أفضل لمجتمعها ، والغد لا يأتى الا بزيادة الفقر والحرمان بحيث أصبح المجتمع المـــاركسى مجتمع المساكين الذين لا يستطيعون بحال ما أن يغطوا احتياجاتهم الى الخدمات بعد عجز أجورهم عن أن تفى بها بعد أن تملكت الدولة وسائل الانتاج واعتبرت العمل سلعة تخضع لقانون العرض والطلب حيث يوجد العرض منها أوفر دائما لا سيما العرض الاجبارى عندما تمنع الدولة انتقال العمل وتحبسه داخل الحدود .

وانى أنقل هنا اعترافا خطيرا عن مدى فشل التطبيق الاشتراكى فى العمل :

« لقد تحدث سكرتير الحزب الشيوعى الرومانى بمناسبة ما يسمى بالهجوم لمدة أربعة عشر يوما على نظام الاقتصاد فى رومانيـــا وعدم كفايته ، كما نقلت حديثه مجلة الأكونومست البريطانية فى عددها الصادر فى ٢١ يناير سنة ١٩٦٧ ص ٢٢١ تحت عنوان « التفوق فى الاقتصـــاد الاشتراكى » :

لا يمكننا أن نتحدث عن تفوق الاشتراكية على الرأسمالية طالما أن بعض الدول الرأسمالية المتقدمة تنتج أرخص أنواع السلع وأجودها . اننا عندئذ غير قادرين على أن نبرهن على هذا التفوق .

ان ضعف نظام الاقتصاد فى رومانيا يختفى وراء النسب النظرية والافتراضية فى التخطيط لزيادة النمو (الاحصاءات التخطيطية) .
وقد بدأ الرومانيون يدركون الآن أن هذا الضعف :

(أ) كما هو فى النوع وفى نفقات الانتاج .

(ب) هو أيضا فى كميته .

وقد أبدى سكرتير عام الحزب الشيوعى فى رومانيا (فى اجتماع ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦ للجنة المركزية) عدة ملاحظات ، لا يمكن معها

كما يقول أن تتحمل رومانيا طويلا وتقف بعيدا عن الاصلاحات التى تجرى الآن فى دول شرق أوروبا .

وليس المجال أن تعلن المشروعات القيادية للمصانع التى لها شبه استقلال ، وليس كذلك هو مجال المدح والثناء للتجارب الاقتصادية فى الدول الاشتراكية .. انما هو مجال الكلمات القاسية التى تهز الرسميين فى الحزب من سباتهم ، ويعلن : « ان رومانيا لم تزل بلدا متخلفا » .

ويذكر فى هذا الصدد أن صنوف الآلات التى صدرتها رومانيا فى سنة ١٩٦٤ كان يساوى الطن منها ٤٢٠ جنيها .

بالقياس الى ما يساويه فى بلغاريا من خمسمائة جنيه .

وفى فرنسا من ٩٦٨ جنيها .

وفى سويسرا من ١٧٢٤ جنيها .

وأن الفلاحين الذين يكونون نسبة تمثل أكثر من نصف السكان العاملين يعملون ثلث الوقت المخصص للعمل فقط ، ويقول : ان التخلف كان السبب فى ارتفاع أسعار الانتاج ارتفاعا ظاهرا الى ما يعادل ضعف البلاد المتقدمة اذا نظرنا الى الاقتصاد ككل .

وكان السبب كذلك فى أن انتاج العامل فى رومانيا أقل بمقدار النصف أو الثلثين من انتاج العامل فى ايطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية .

ان الأيام عديدة تلك التى يطمئن فيها العامل الى الاحتفاظ بوظيفته ..

ومع ذلك لا يسهم فى الانتاج الاقتصادى الا قليلا ، .. هل يمكننا أن نحول المصانع الى مؤسسات خيرية ؟

ان ألفا وثلاثمائة وسبعين سلعة من الانتاج أسفرت عن خسارة تقرب من مائتين وأربعين مليونا من الجنيهات الاسترلينية(!) فى عام ١٩٦٦ » .

ويعلق الدكتور محمد البهى على ذلك فيقول :

« ان السلبية التى ترى فى مجال العمل الذى تؤجر عليه الدولة

---

(١) تهافت الفكر المادى التاريخى للدكتور محمد البهى ص ٥٠

ظاهرة لابد من وقوعها فيما تملكه الدولة من مصادر الثروة القومية وهذه السلبية هى التى تشاهد فى : قلة الانتاج ، وفى عدم جودته ، وفى كثرة نفقاته ، وفى عدم قدرته بالتالى على المنافسة فى سوق عالمية .

ان هذه السلبية ترجع الى المساواة فى الأجور بينما هناك (الاختلاف) فى الطاقات على العمل لدى الأفراد .

فصاحب الطاقة الدنيا على العمل ان رضى بالأجر المساوى لرفيقه فى العمل ، فان ذلك العامل صاحب الطاقة القوية معه لا يرضى بهذا الأجر ، ثم كذلك لا يرضى بالحافز المادى ان منح اياه لأن طاقته على الانتاج تهيىء له فى المباشرة الحرة أكثر من أجره وجزائه الاضافى وفى الوقت نفسه تشعره بقيمته كانسان يتميز بطاقته وخالقيته فى العمل وهذا أهم لديه من الجانب المادى .

وهنا يكون معيار العدالة الاجتماعية الذى تقيس به الدولة مستويات الأفراد معيارا غير عادل وغير مرض بالنسبة لبعض الأفراد على الأقل .. بل ربما يعتقد ذلك البعض أنه ينطوى على الغبن والظلم .

ان نظام الماركسية اللينينية فى الحكم — طبقا لفلسفتها — يتجاوز الأفراد والفروق الفردية بينها الى (الجماعية) فى العمل ، فهو يحشد للعمل كتلا بشرية وقلما يعير ما بين أفرادها من فروق اهتماما خاصا ، ويسوى بينها فى الأجر طالما يكون محيط العمل واحدا بغض النظر عن الخصائص الفردية التى تبرز فى العمل وتدخل فى قيمته ، ان كما أو كيفا »(١) .

والظلم الذى يشعر به بعض الأفراد من أجل عدم تقديرهم فى العمل يصير الى حقد فى النفوس على النظام نفسه ، ثم يتبلور فى الاهمال والتراخى فى العمل وقد يتحول الى انتقام التخريب فيما تملكه الدولة .

وأقرب مثال على ذلك ما نشاهده اليوم من استغاثة روسيا بأمريكا لتغيثها بالقمح بعد أن كانت روسيا من أكبر دول العالم المصدرة للقمح .

ان رأسمالية الدولة التى يقوم عليها الحزب الشيوعى والتسلط الماركسى تقصد الى بقاء (الحرمان) و (الشقاء) للطبقة العاملة —

---

(١) المرجع السابق ص ٥٢

كخطة مستهدفة — كى تحول دون تطلعات لبعضهم فى المنافسة على الحكم أو فى مباشرة الانقلاب على السلطة القائمة ، ان تحسن مستوى العامل وارتفع الى احساسه بالرغبة فى الاستمتاع بالحياة بعد ملء معدته •

ان العامل تحت التسلط المـاركسى اللينينى لابد أن يلهث فى سبيل لقمة العيش فقط ولابد أن تكون حياته كلها ونشاطه فيها وتفكيره فى مستقبله — ان كان يدرك له مستقبلا — لالتقاط هذه اللقمة من العيش التى لا يجدها الا من يد الدولة أو الحزب بمعنى آخر •• انها بعبارة أخرى استعباد لا مثيل له لخلق الله وتسخيرهم فى مقابل أدنى مستويات الحياة •

والنتيجة الطبيعية لذلك هى نقص الانتاج لأن العمل فى ظل رأسمالية الدولة وبعد الغـاء الملكية الفردية يصبح (روتينيا) وبدون دافع من النفس فتتفشى ظاهرة التواكل •

ومهما كان وقع الاكراه والتخويف نحو العمل أو الترغيب فيه فسيظل هذا العمل فى كمه أقل وفى نوعه غير جيد أو غير متقن وعندئذ لا يكون فائض انتاج للتصدير وان وجد فلا يستطيع المنافسـة فى الأسواق العالمية لانخفاض جودته ويفرضه على السوق المحلية عندئذ احتكار الدولة من جهة والحاجة المـاسة اليه لدى المستهلكين من جهة أخرى •

« ونتيجة لذلك سيظل حتما :

١ — النقص فى الانتاج •

٢ — والعجز فى ميزان المدفوعات •

٣ — وقلة الأجور •

٤ — وارتفاع الأسعار وبالتالى ضعف القوة الشرائية لدى العامل المستهلك ••

وهذه النتيجة بما لها من الجوانب الأربعة تؤدى بدورها الى :

(أ) بقاء مستوى المعيشة منخفضا لدى العمال •

(ب) وعدم وجود تطلعات الى حياة أفضل رغم ما تبذله الماركسية اللينينية من الحديث عن الغد الأفضل •

(جـ) واستكانة أفراد المجتمع وبقـائهم فى حظيرة التواكل على الدولة ••

والحزب هو الهدف الأخير لهذا التسلط الماركسى اللينينى ..
وبمرور السنوات على هذا التسلط ربما يتحول التواكل على الدولة والحزب الى وثنية والى عبادة فليست العبادة الا خضوعا واستسلاما .

ولكن هنا خضوع اليأس واستسلام الذليل وليس خضوع المؤمن القوى لله تعـالى »(١) .

ولقد قامت المـاركسية على أساس محاربة التفرقة الجسيمة بين الناس التى أوجدتها الثورة الصناعية فى أوروبا بتضخيم رؤوس الأموال حتى أصبحت الهوة التى تفصل بين أصحاب رؤوس الأموال والعمال سحيقة رهيبة وقد اتسم مسلك مجموعة الرأسماليين بالأنانية ومحاولة استغلال الطبقة العاملة .

لكن المـاركسية عندما تقترح علاج هذه الفجوة ــ فيما تدعو اليه من تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق الغاء الملكية الفردية ــ تسلك كذلك مسلك الأنانية والتحيز لفريق من أفراد المجتمع هم العمال دون فريق آخر وهم أصحاب رؤوس الأموال .

فاذا كانت الرأسمالية أنانية مفرطة فان الاشتراكية المـاركسية أنانية أيضا ولا تقل تطرفا عن الرأسمالية وكلا النظامين أوجد الصراعات بين أفراد المجتمع وأثار الأحقاد فى نفوس الناس وأدى الى ثورات دامية ..

بينما الاسلام الذى ينشىء مجتمعه على المحبة والترابط ويقيمه على مبدأ : « **وتعاونوا على البر والتقوى** »(١) يرى أن منفعة المـال منفعة عامة لأفراد الأمة المسلمة ومن يستظل برايتها ..

واذا كانت ملكية المـال ملكية خاصة فهو مع ذلك فى يد صاحبه بوصفه مستخلفا عليه من الله أو وكيلا عن صاحب المـال الأصلى . ومعنى ذلك أن الاسـلام لا يمنع الملكية الخاصة للمـال ولا يحول دون المباشرة الفردية بل ربما كان يطلبها أولا ولكن يجب على من يملك المـال ويباشر استثماره أن يراعى أن للآخرين من أفراد المجتمع حقا فيه يتعين عليه أداؤه .. : « **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** »(٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٢ ، ٨٣ . (٢) المائدة : ٢
(٣) الحديد : ٧

والمسلم ينفق عن طواعية واختيار لأنه يؤمن بأن الحياة الدنيا متاع الغرور وأن بعدها حسابا من الله .. وهو عبد الله يعمل بأوامره ويبتعد عن نواهيه ويطمع فى عفوه وفى ثوابه والحياة الأبدية فى نعيم الله التى هى خير من كل ما يجمع فى الحياة الدنيا .

« وبالايمان بالله .. وباليوم الآخر .. لا تقوم مشكلة اجتماعية كتلك التى قامت فى المجتمع الغربى الصناعى بين أصحاب رؤوس الأموال والعمال فى مصانعهم وبالتالى لا يحتاج الأمر الى حل كمثل الحل الذى تفرضه الماركسية اللينينية .

ان الأثرياء من المؤمنين بالله لا يتحول ثراؤهم مهما عظم — يوما ما — الى (رأسمالية) لأن الرأسمالية ليست هى ملكية المال الوفير ولكنها الاساءة الى الغير بسبب ملكية المال قل أو كثر .

(فالربا) هو رأسمالية وان قل ماله .

وثروة الصحابى عبد الرحمن بن عوف وكذا ثروة الخليفة عثمان ابن عفان رضى الله عنهما على ضخامتها ليست رأسمالية ، لأنهم لم يسيئوا استخدامها ولم ينتج بسبب ضخامتها ضرر لأحد . بل على العكس .. كانت منفعتها عائدة على المسلمين جميعا . وأيضا فان المؤمنين مطالبون فى أموالهم بالانفاق منها على غيرهم من أفراد الأمة انفاقا لا يقابله الا وجه الله ، ولا ينفقون منها على أنفسهم الا بقدر حاجتهم الى الانفاق :

« .. ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون »(١) .

والعفو هو الفضل أو مازاد عن الحاجة وانفاق هذا الفضل فى الاسلام يكون بطيب نفس وباختيار صاحب المال لأن الله ضامن له الاخلاف علاوة على الأجر : **« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »(٢) .**

ويقول المفكر الاسلامى الكبير مالك بن نبى فى كتابه « المسلم فى عالم الاقتصاد » :

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ — والآية من سورة البقرة : ٢١٩
(٢) سبأ : ٣٩.

« اننا عندما نحدد طبيعة الحاجة التي يلبيها الانتاج نحدد طبيعة التوزيع وحجم شبكته • والحاجة من الناحية الاقتصادية نوعان : الحاجة التى يغطيها مال ، والحاجة التى تغطيها ارادة حضارية ، مثل الارادة التى فرضت الزكاة للفقير والمسكين وابن السبيل الذين ليس لهم مال يغطون به حاجاتهم اليومية •

ويتقرر على أساس تلبية الحاجة كل أسلوب الاقتصـاد ، اما طبقا لطبيعة المـال الذى يقتضى نظما خاصة بتوزيع محدود يحده الامكان المـالى ، أو طبقا لارادة حضارية تفرض شبكة توزيع شاملة تشمل كل السكان منذ اللحظة الأولى •

فاذا تقرر هذا النوع الأخير لتلبية الحاجة دون اخضاعها لشرط الامكان المـالى ، فنستطيع مبدئيا رسم شروط الديناميكا الاقتصادية فى صورة مسلمتين :

١ ــ لقمة العيش حق لكل فم •
٢ ــ العمل واجب على كل ساعد •

فالمسلمة الأولى يفرضها الاختيار لمبدأ معين يلتزمه المجتمع ويسجله فى دستوره كأساس لعقده الاجتماعى »[1] •

أما المسلمة الثانية فليست اختيارا بل هى ضرورة تفرضها المسلمة الأولى كشرط لاستمرار التفاعل بين الانتاج والاستهلاك •

ولقمة العيش لكل فم ليست مجرد غاية أخلاقية أو شعار يرفعه الاسلام ــ كما تفعل النظم الاشتراكية ــ « بل نقطة انطلاق فنية وأخلاقية معا يقرهـا ضمنا الاسلام فى مبدأ الزكاة وتفرضها اعتبارات اقتصادية استثنائية ترمى الى خلق جو اجتماعى تنمو وتتحرك فيه كل الطاقات فى عمل مشترك من شأنه أن يغير الأوضاع النفسية فى الفرد وملامح الحياة حوله •

بحيث يكون العمل المشترك أولا وقبل كل شىء المدرسة التى تكون المسلم الجديد الذى يستطيع مواجهة كل الظروف الاستثنائية مثل التخلف لأن مدرسة العمل المشترك تعلمه أن الارادة اذا حركت الانسان تجعله

---

(١) المسلم فى عالم الاقتصاد ــ لمـالك بن نبى ص ٩٦

يكتشف الامكان • فالوطن أو المجتمع المسلم الذى يتحول الى مصنع سرعان ما يكتشف أن الامكان الذى ينتظره فى يد الغير لتغيير مصيره هو فى يده منذ الآن •

ان الارادة تكتشف الامكان ••

هذا القانون فى المجال الاقتصادى هو فى المجال النفسى ما تشير اليه الآية الكريمة : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** »[1] وما نعبر عنه فى المجال الاجتماعى بقولنا : ان الارادة الحضارية تصنع الامكان الحضارى •

فالعالم الاسلامى متى تكونت لديه ارادة واضحة للتخلص من التخلف سيجد أولا فى المجال النظرى أن اختياره ليس محدودا بالرأسمالية ولا بالماركسية وأنه بالتالى يستطيع التعويض للاستثمار المالى المفقود لديه بالاستثمار الاجتماعى الموجود على أساس المسلمتين المعروضتين فى هذا الفصل سواء أكان ذلك فى نطاق مخطط مرحلى خاص بظروف ما أسميناه الاقلاع أم كان المخطط يعنى أيضا الاستمرار اذا ما رأى المجتمع مصلحته فى ذلك •

واذا كان هذا أو ذاك فالمجتمع العصامى الذى يقلع بمجهوده الخاص يدرك أن القصور الذى يفرضه التخلف فى المجال الاقتصادى انما هو نتيجة لتصوره الأشياء لا لطبيعة الأشياء ذاتها وسوف يرى طاقاته الذاتية قادرة على تغيير كل الظروف فى جو يسوده الاخاء والطمأنينة •

واذا ما كان لنا درس نستخلصه من تجربة الصين فانما هو أن المعارك الاقتصادية عندما تدور رحاها تدور حول قطب القيم الأخلاقية ، وان وسعنا المصطلح قلنا •• حول القيم الثقافية •

والمجتمع الاسلامى أجدر من يحقق لنفسه وللانسانية التجربة التى تعيد الى عالم الاقتصاد أخلاقياته ويتلافى بذلك الانحرافات الاباحية التى تورطت فيها الرأسمالية ، كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التى سلبت الانسان ما يميزه عن الآلات والأشياء •

وأجدر من يقوم بهذه التجربة الرائدة للبلاد هى مصر والجزائر

---

(١) الرعد : ١١

والمغرب التى دخلت فعلا المعركة الاقتصادية على نهج معين تستطيع توسيع أفقه بخبرة جديدة وتطعيمه بروح اسلامية تعيد المـال الى وظيفته كخادم مطيع للمجتمع لا كسيد له وترفع عن الانسـان الأسر الذى قيدته به المـادية المـاركسية التى أقحمته فى عالم الاقتصـاد كمجرد آلة للانتاج »[1] .

ويستطرد مالك بن نبى ليثبت أن الاسلام يقيم مجتمع انتاج ويطالب المسلم بأن يكون عضوا عاملا فى المجتمع يعرف الواجب كما يعرف الحق وعليه أن يقدم الواجب أولا قبل أن يسأل عن الحق .

ويقدم « ابن نبى » الدليل من قصة الرجل الذى أتى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب « لقمة عيش » كان من حقه أن يأخذهـا من المجتمع بنص القرآن الكريم من مال الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أدرى الناس بتطبيقه كما كان عليه السلام أجود من الريح المرسلة .

ولكن أعمال النبى تشريع لأمته فأشـار على من حوله من الصحابة رضوان الله عليهم بأن يجهزوا هذا الفقير ليحتطب وأشار على الرجل بأن يحتطب ليأكل من عمل يده .

فاذا حللنا هذه القصة من حيث أبعادهـا الخلقية نرى كيف يحل الرسول صلى الله عليه وسلم أزمة اجتماعية تعرض عليه فى صورة متسول من المساكين فيفضل صلوات الله عليه حلها فى نطاق (الواجب) على (الحق) .. أو اذا قدرنا الأبعاد الاقتصـادية فاننا نرى النبى عليه السلام يفضل الحل فى نطاق (الانتاج) .

كما نراه صلى الله عليه وسلم فى موقف آخر يعطى لصحابى ثم يتكرر الطلب فيتكرر العطاء ثلاث مرات ثم يأتى التوجيه فى صورة النصيحة الاسلامية : « ان اليد العليـا خير من اليد السفلى » ..

اليد التى تعطى خير من اليد التى تأخذ .. هذا هو التوجيه فان شئنا فسرناه خلقيـا أو اقتصـاديا .

هذا التوجيه الى الانتاج يحمى المجتمع الاسلامى من أن يكون مجتمع استهلاك لأنه اذا رجحت كفة الاستهلاك فى مجتمع فهو مجتمع ينهـار .

---

(1) المسلم فى عالم الاقتصاد لمـالك بن نبى ص ١٠٠ ، ١٠٢

« وتحويل التركيز من (الحق) الى (الواجب) ليس بالأمر الذى يأتى عفويا أو صدفة لأنه تحويل لعـادات وطبائع منسجمة مع ما فى الانسان من ميل طبيعى الى منطق السهولة ، مدعما من ديماجوجية القرن العشرين التىنصبت من (الأنا) وثنـا جديدا يعبده الفرد فى المجال السياسى باسم الحرية ، وفى المجال الاقتصـادى باسم الحقوق . وحتى فى المجـال الرياضى يعبد (الأنا) المجسد فى ملاعب الرياضة فتحويل التركيز الموروث ليس اذن بالأمر السهل بل لا يتأتى الا بصراع مع كل التيارات التى تنمى الأنانية بشكليها ، « الأنا » و « نحن » ..

وربما تقوم فى وجه ثورة ثقافية — من أجل تعديل التركيز فى صالح الواجبات — ثورة مضادة لتدعيم البناء المنحرف .

فهذا ما حدث بالضبط فى الصين عندما قامت فيها محاولة لتخفيف ضغط الحقوق على الانتاج فسرعان ما قامت فى وجهها مطالبة بمزيد من الحقوق ، فى حصة الأرز مثلا ، وفى الأجور ، وغالب الظن أن هذه المشاغبة كانت موجهة من الخارج من طرف جهـات تريد تعويق حركة التنمية فاستعملت ضد العمـال القائمين بتنفيذ خطة (الوثبة الى الأمام) ما فى نفوسهم من ميل طبيعى الى السهولة .

انه لمن أشد المكر أن يحطم الانسان أو يعطل نفسه بيده دون أن يشعر لأن المـاكر استطاع أن يخدعه بلغة الحقوق والحريات »(١) .

ونفس الشيء الذى يشير اليه مالك بن نبى هو ما حدث فى مصر عندما شرعت فى اصلاح مسارهـا الاقتصادى فكانت عمليات التخريب الرهيبة فى يناير سنة ١٩٧٧ التى قامت بها عناصر مدسوسة فى صفوف العمال لتعمل ضد مصالح العمـال وهو ما يأباه الاسلام الذى يرمى الى اقامة مجتمع الاخاء .. مجتمع الانتاج لصـالح الجميع بلا ضرر ولا ضرار .

واننا فى هذا الباب من الكتاب نتناول موضوع العمل فى العالم الاسـلامى ككل لأن الله تعـالى يقول : **« ان هذه أمتكم أمة واحـدة وأنا ربكم فاعبدون »(٢)** .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ (٢) الأنبياء : ٩٢

ويقول سبحانه وتعالى : « **ورحمة ربك خير مما يجمعون** »[1] .
كما يقول عز من قائل : « **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا** »[2] .

فاذا كنا أمة واحدة حقا واذا كنا نؤمن بأن ما عند الله خير وأبقى وأعظم أجرا مما نجمعه فى هذه الدنيا ..

واذا كنا نؤمن حقا بأن « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم وبأن ما يصيب المسلم فى أى قطر من أقطار الاسلام لابد أن يجد له صدى عند أخيه المسلم .. لما كان فى العالم الاسلامى اليوم فقير ولا محتاج ..

ان العالم الاسلامى يتمتع بموارد ضخمة للثروة بعضها كان مخبوءا فى باطن الأرض حتى أذن الله أن يظهر وبعضها كشفنا عنه بفضل التقدم العلمى وبعضها نمر عليه كل يوم دون أن نحاول اعماره أو استغلاله ، كعشرات الملايين من الأفدنة من الأرض الصالحة للزراعة فى السودان وسوريا والعراق وغيرها ..

هل يعقل أن نترك أكثر من مائة مليون فدان فى السودان من أجود الأراضى الزراعية دون أن تزرع ؟ .. وذلك لحاجة مسلمى السودان الى بعض المال لتمهيد الأرض وتنظيفها من أعشابها وأشجارها لتصبح صالحة للزراعة أو شراء بعض الآلات الرافعة لترفع الماء من الأنهار ! .

وهل يعقل أن يتسبب نقص السيولة النقدية فى السودان فى أن يعيش السودان فى فقر بينما اخوة مسلمون يكنزون الذهب والفضة ويا ليتها فى أيديهم بل فى أيدى أعدائهم يستغلونها ضد الاسلام وفى ابادة المسلمين فى حروب بالسلاح وفى حملات التبشير الرهيبة التى تحاول أن تقتلع الاسلام من بلاده ؟ ! ..

ان المال فى يد المسلم أمانة لخير الانسانية .. يقول تعالى : « **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** »[3] .

---

(١) الزخرف : ٣٢ (٢) المزمل : ٢٠
(٣) الحديد : ٧

فذلك الاستخلاف هو النيابة التى جعلهـــا الله لخليفته فى الأرض على ما قرره أئمة التفسير .

لكن الكثيرين من المسلمين ممن أفسدت تفكيرهم النظريات الغربية التى سرت سمومها فى بلادنا فى ظل الاستعمار الغربى العسكرى سابقا والثقافى حاليـــا .. يحسبون أن هذا القول من قبيل الفروض النظرية لا من أسس القواعد العملية التى تؤسس عليها المعاملات بين الناس فى واقع الحياة ..

لقد نسى الكثيرون مهمة الانســـان الأصلية وهى عبادة الله تعالى ونسوا تبعا لذلك أن الله انما خلق المـــال ليستعين به الانســـان على عبادته لا ليكون له غاية .. واذا نسوا الأصل فقد زايلهم ما كان له فى الضمير والذهن من وجدان وبواعث واهتمام وتقديرات فى الفكر .. وحسبوا أن قد جاءوا الى هذه الأرض سدى أو عبثا ليأكلوا ويتمتعوا كما تأكل الأنعـــام .. أو جاءوا — على حسب ما يخدعون به أنفسهم — ليؤدوا للحياة رسالة العمـــل وبطولة الانتاج والتسابق فى جمع المـــال الذى هو قوة ومجد الدنيـــا وليبذلوا فى سبيل ذلك ما استطاعوا من طاقات بناءة ثم يصبح من حقهم بعد ذلك أن يسرفوا ويتمتعوا ويبلغوا ما يزعمون من مجتمع الرفاهية مجتمع الاستهلاك .. الى آخر ذلك الزيف الذى يحاولون به ستر تفاهة الحياة بعد أن جردوهـــا من عبادة الله التى هى حقيقة معنى الحياة فانقلبوا يموهون بمثل هذه الأقاويل لعلهم أن يهبوا لحياتهم معنى أو يجعلوا لوجودهم قيمة .. فاذا كان من بين هؤلاء من لا يرى بأسا بالتدين فعبادة الله على هامش ذلك كله ..

وعلى الطرف الآخر تقوم ثورات الفقراء الذين تسللت الى صفوفهم مفاهيم الشيوعية ويحلمون بالجنة الموهومة فى جحيم الشيوعية ويحسبون أن مصادرة الملكية الفردية هى التى ستحقق لهم العدالة الاجتماعية وينسون أن تحريم الملكية هو حرمان للفرد من حصيلة عمله ولا يمكن أن يكون أمرا عمليـــا مقبول العدالة صـــالحا لحمل أوضـــاع الناس عليه دون الوضع الذى تمليه فطرة الله فى الأشياء وتقرره نصوص الدين بمثل قوله تعـــالى : **« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيـــه »**(١) .

---

(١) الحديد : ٧

« فلنعلم آن ما بين آيدينـــا هو الحق الأزلى الذى لا يلبث أن يغدو فى ضمائرنا قانونا ذا فاعلية وايجاب اذا المرء عمق له باطنه وكشف ما فيه من ملكـــات الرؤى والاستبصـــار .. هنالك يتحدد فى الذهن والضمير وضع الفرد فيما يحوز من مال الجماعة بأنه وضع النائب أو الوكيل وليس وضع المـــالك المطلق ولا وضع الحيوان الأعجم أو الآلة الصماء »(١) .

وهنا يدرك المرء معنى « مال الجماعة » فى فقه الاسلام .. انه مجموع أموال الأفراد لأن الجماعة أو الأمة هى مجموع الأفراد ذوى الارادة .. وهنا يدرك المسلم أنه مسئول أمام الله فى تصرفاته فيما بين يديه من أموال وتتضح أمامه مسئولية الأمة المسلمة — الأمة الواحدة — عن كل أفرادها أينما كانوا .. ألم يقل عمر بن الخطاب الخليفة الراشد : « اذا عثرت بغلة بالعراق لسئلت عنها لم لم (٢) أسو لها الطريق » ..

هذا هو قول الخليفة الراشد صاحب الحق فى التشريع للمسلمين .. هو يرى أنه مسئول ليس عن المسلمين فحسب بل عن دوابهم لم لم يمهد السبل الصالحة حتى لا يصيب هذه الدواب سوء فيكون هو — بوصفه خليفة المسلمين — مسئولا أمام الله ..

وان المـــال فى يد المسلم مسئولية سيسئل عنها يوم الحساب من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟

ومن أمانة الاستخلاف أن يوجه المـــال لصالح المسلمين لا الى مصارف اللهو والتلف والبوار .

« ان الترف مرض خبيث من أمراض الغنى ويسر العيش وفراغ الحياة من الأعمال والواجبات والاسراف فى المتاع وبه تتحول الرجولة والأنوثة الصحيحتان الى رخاوة وميوعة وأذواق مريضة وطباع منحرفة فتتعطل قواهـــا وتصير كالأرض البور التى لا نفع فيها بل تكون من أسباب الضرر المحقق .

والاستمتاع بطيبات الحياة وزينتها التى أخرج الله لعباده أمر

---

(١) الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى للبهى الخولى ص ١١٦

(٢) الأولى بكسر اللام وفتح الميم والثانية بفتح اللام وتسكين الميم .

طبيعى مباح أو مطلوب ما دام من غير اسراف ولا خيلاء ولا انحدار مع طاعة الشهوات والأهواء ..

فاذا أسرف فى المتاع وركنت اليه النفس دائما وآثرته على حياة الخشونة وأداء الواجبات والأعمال النافعة فقد استحال الى ترف ومرض وضعف وبوار .. والى ذلك يشير قول القرآن الكريم :

« ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا »(١) .

فالمتاع الذى ينسى الواجبات نحو الله والوطن يسلم النفوس الى البوار والضياع ، فهو سوس الحضارات ومدمر قوى الأمم وجالب خرابهـا وتبابهـا . وقد ذكر القرآن أن المترفين هم من أدوات انتقام الله من الأمم الظالمة التى بطرت معيشتها وخالفت عن أمر ربها فقال :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »(٢) ..

وطبيعة الترف تحمل على الضيق بحياة العمل والكدح حتى تضمر قوى الانتاج والكفاح والمقاومة وحب المغامرات وتتحول النفوس الى أدوات مستهلكة غير منتجة ومتبطلة غير عاملة »(٣) ..

لذلك كره الاسلام الترف وجعله قرين الفسق والكفر وحبب الى أتباعه العمل والكدح لأن العمل سلاح خطير لا يقل خطرا عن سلاح الحرب بل انه نوع من الجندية والرباط فى سبيل الله وفى سبيل شرف الوطن وحفظ كيانه وليس الجندى هو حامل السلاح فى الميدان فقط بل كذلك من يقف وراءه ويحمى ظهره ويصنع له عدته وسلاحه وذخيرته وطعامه ولباسه ويكفيه رعاية أسرته وأولاده ويشترك فى معركة التعمير والتشييد وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أذ يقول : « من جهز غازيا فقد غزا » .

والاسلام اذ يؤكد على قيمة العمل وأهميته الى الحد الذى جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة » .. فهو — أى الاســلام — يجعل الأولوية للعمل الجماعى ذلك أن الأمم وقد تكاثر

---

(١) الفرقان : ١٨ (٢) الاسراء : ١٦

(٣) المادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف ص ١٧١

أفرادها وتعددت مصالحها أصبح لا يعول فيها على مجهود الفرد مهما كان قويا بل لابد من تعاون الفرد مع غيره لتتكامل الجهود وتتضافر الهمم فى بلوغ رفعة الأمة الاسلامية واحلالها المركز اللائق بها بين الأمم كقوة يحسب حسابها وليست كما مهملا ومصدرا للمواد الخام تتحكم فيها الدول الصناعية المتقدمة .

وهذا هو أمر الله لنا :

« وتعاونوا على البر والتقوى »(١) .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »(٢) .

فهل آن لنا أن نسعى الى ايجاد التكامل الحق بين دول الأمة الاسلامية ؟

لطالما سمعنا دول العروبة ودول الاسلام تتنادى الى أنواع من التكامل الاقتصادى أو التكامل الثقافى ويترنم كتابها وأدباؤها بهذه النغمة المحببة الى النفوس دون أن نرى ذلك يخرج الى واقع الحياة العملية مع ما نرى من ضعف الكيانات الصغيرة والاتجاه فى عالم اليوم الى التكتلات السياسية والاقتصادية الضخمة ..

لاشك فى أن قادتنا ومفكرينا يدركون هذه الحقيقة فما الذى يمنع من الاتجاه الى التنفيذ ؟

أهو افتقاد الثقة بين دول الاسلام ؟

أهو ضعف فى الايمان بالمبدأ ؟

أهى مطامع الدنيا واختلاف المصالح المادية ؟

وهل نسينا قوله تعالى : **« ورحمة ربك خير مما يجمعون »**(٣) .

صدقونى لن تعز الأمة الاسلامية الا بالعودة الى كتاب الله وشريعة الله !

« فان العزة لله جميعا »(٤) .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »(٥) .

---

(١) المائدة : ٢ (٢) التوبة : ٧١

(٣) الزخرف : ٣٢ (٤) النساء : ١٣٩

(٥) المنافقون : ٨

ولن يتم التكامل الذى ننشده أو الوحدة التى أمر الله بها المسلمين الا اذا أخذنا بأسبابها التى بينها كتاب الله وأولها العلم وان قول الله تعـــالى : « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »(١) انما يوحى بأمرين هامين :

أولا : ضرورة تطبيق أحدث الأساليب العلمية وفق ظروف العصر الذى نعيشه لكى يسير التقدم بخطى سريعة ولقد أصبح فى عصرنا هذا ما يميز الشعوب المتقدمة من الشعوب المتخلفة هو درجة ما بلغته من العلم الفنى أو (التكتولوجيا) كما يسمونه .

ثانيا : وجوب تزويد العامل المســلم بالقدر المناسب من المعرفة والتدريب بما يؤهله لاتقان عمله .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا عمل أحدكم عمــلا أحب الله أن يتقنه » .. وان فى ذلك دعوة صريحة قوية للاهتمام بالتعليم بوجه عام والتعليم الفنى بوجه خاص .. وهنا أيضا اشارة الى ما يتعين على البلاد المتخلفة أن تقوم به من أجل الخلاص من تخلفها لأن من أكبر عوامل الضعف فى هذه البلاد هو عدم توافر الأيدى العاملة المدربة على مختلف المستويات .

ان توافر هذه الخبرات الفنية هو الذى سيدفع عجلة التنمية لتدور بأقصى سرعتها أو بالسرعة التى تتناسب مع العصر الذى نعيش فيه .. فلا نترك هذه البحار التى تطل عليها دول المسلمين دون استغلال ونشكو من أزمة فى اللحوم وكأننا لم نسمع فى كتاب الله قوله تعـــالى : « **وهو الذى ســخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتســتخرجوا منه حليــة تلبسونها** »(٢) .

وعلينا أن نمتلك الأساطيل التجارية التى تمخر هذه البحار لتنقل منتجاتنا وتحمل الينا حاجياتنا استجابة لقوله تعـــالى : « **وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** »(٣) .

ولا نترك هذه الأراضى الواسعة بورا بغير اســتغلال ونتعرض لحصــار القمح ونذل تحت حاجتنا الى حبوب الغذاء ونكون معرضين

---

(١) الزمر : ٩ (٢) النحل ١٤ (٣) النحل : ١٤

للتهديد بالمجاعة لو حاولنا الاستقلال بارادتنا ورأينا فى التصرف بثرواتنا ..

وفى ختام هذا الباب لا يفوتنى أن أذكر الضرورة الملحة للسماح بانتقال العمل فى أرجاء العالم الاسلامى .. وانى ليأخذنى العجب للرعب الذى يستولى على بعض دول الاسلام من هجرة اخوان مسلمين لهم ليعملوا فى بلادهم ويساعدوا فى استغلال ثرواتها وزيادة الدخل القومى بها .

ألم يسمعوا بالهجرة الى كندا والولايات المتحدة وأستراليا ؟ ألم يسمعوا بما تقدمه هذه الدول وغيرها من مساعدات ومغريات للمهاجر اليها حتى يعمل ويفيد ويستفيد ؟

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم** »(1) .

فالهجرة المحتسبة عند الله ليست فرارا دافعه الخوف وانما هى ايمان بحق الانسان فى حرية العقيدة وحرية العمل وايمان بواجب الانسان فى الحياة .

ولما كانت الأمة الاسلامية أمة واحدة كما أسلفنا وقد استجاب المهاجرون لدعوة الله فان واجب المهاجر اليهم ألا يضيقوا باخوانهم المهاجرين بل يشعرونهم بأنهم أشقاء لهم واخوة تربطهم رابطة الدين والعقيدة : « **والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم** »(2) .

والحث على الهجرة نلمسه فى روح التشريع الاسلامى الذى يأبى أن يذل المسلم .. ومن يرضى المذلة والخضوع للطغيان ويقول : « **كنا مستضعفين فى الأرض** »(3) يأتيه الجواب المفحم : « **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** »(3) .

ويؤمن المولى عز وجل من هاجر فى سبيل الله بقوله : « **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة** »(4) .. يجد الطرق الكثيرة لاكتساب الحياة ..

---

(1) البقرة : ٢١٨ — (2) الحشر : ٩
(3) النساء : ٩٧ — (4) النساء : ١٠٠

وعندما هاجر المسلمون الأوائل الى المدينة المنورة تاركين أموالهم وديارهم وكانت الأرض وزراعتها فى يد الأنصـــار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه وان أبى فليمسك أرضه » •

وواضح أن المقصود من هذا الحديث من كان يملك فوق حاجته ومن يعيى عن زراعة جميع ما كان يملك •

وكم فى بلاد المسلمين من بلاد لا تستطيع أن تستغل ثرواتها لنقص الأيدى العاملة لديهـــا فتترك رؤوس أموال ضخمة معطلة بغير استغلال مع أن استغلالها سيعود بالخير عليها أولا بما يزيد من الدخل القومى وبما يضاعف من انتاجها وبما يحقق رسالة الانسان التى كلفه الله بها باعمار هذه الأرض واستخراج خيراتها •

ان حرية العمل فى العالم الاسلامى جزء لا يتجزأ من شريعة الله التى نعتنقها وهى خير استثمار للقوى البشرية وهى السبيل لتحقيق العمالة الكاملة فى العالم الاسلامى •

كما أنها السبيل لتجديد روابط الاخاء الحق بين المسلمين فى أنحاء العالم فتتوحد أمتهم وتنمو أواصر المحبة بينهم وتقوى شوكتهم ويحتلوا المكان اللائق بهم تحت الشمس •

* * *

خاتمة

ينظر الاسلام الى المـال على أن له وظيفة اجتماعية هى النفع للجميع — من يملك ومن لا يملك — طالمـا أن المـال لله على الحقيقة والله للجميع وان وقع المـال فى استخلاف بعض الناس دون بعضهم الآخر .

يقول الله تعـالى : **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون »**(1) .

واذا كانت منفعة المـال لمن يملك ومن لا يملك على السواء فالمالك كالعامل سواء بسواء . كلاهما له مصلحة فى المـال وكلاهما له مصلحة فى العمل فيه .

فالمـالك ان بدت له مصلحة فى العمل فى ماله ، فالعامل له أيضا مصلحة حقيقية كذلك فى مال المالك عدا أنه يؤجر على عمله فيه وهى مصلحة المشاركة فى منفعته العامة .. فهو على فرض أنه سيعجز عن العمل يوما ما فمصلحة المشاركة فى منفعته باقية له ، يأخذ منه ليعوض عن عجزه وعدم صلاحيته للعمل ..

وعمارة الكون اذن تقوم على المـالك والعامل معا .. المالك يحرس ماله ويباشر تنميته والعامل يعمل فيه ويؤجر على عمله . ولا تتم هذه العمارة بسيادة الملاك وحدهم عن طريق المـال ولا بملكية الدولة مع قطعان العمال التى تسوقهم الى العمل سوقا .

فكون الانسان مستخلف فى مال الله معناه أن الله قد حرم عليـه الطغيان عن طريق ملكية المـال لأن المستخلف مطالب بالسير فى طريق تحقيق العدالة الاجتماعية طبقا لأوامر الاسلام وأولها تحقيق المنفعة العامة للمـال للمالك ولغير المالك على السواء « **فهم فيه سواء** » ..

---

(1) النحل : ٧١

فضلا على فريضة الزكاة التى تطهر هذا المـال ثم الابتعاد عن انفاق المـال فى عبث أو فسـاد أو جمعه عن طريق الاستغلال طريق الحرام .

« وهكذا هناك ثلاثة نظم فى ملكية المـال وانمائه وانفاقه .. وبالتالى هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات :

أولا : الملكية الفردية للمـال والحرية فى انمائه وانفاقه .. ومجتمع هذا النظام هو المجتمع الرأسمالى أو مجتمع الملاك .

ثانيا : ملكية الدولة للمـال . وممارسة الدولة السيادة على الأفراد فى تحديد العمل والأجور ومجتمع هذا النظام هو مجتمع العمال بدون مالكين للمـال .

ثالثا : الملكية الفردية للمـال والالتزام فى انفاقه وانمائه بحدود الاستخلاف فيه . وهذه الحدود تحول دون الطغيان به ، ومجتمع هذا النظام هو مجتمع الملاك والعمال معا أو المجتمع الاسلامى .

وهكذا دخول الاستخلاف فى الملكية الفردية للمـال هو الفيصل فى تمييز المجتمع الاسـلامى عن المجتمعين الآخرين .. الرأسـمالى والعمالى .. لأنه على أساس من الاستخلاف فى المـال لا توصل الملكية الفرديـة الى الصراع الطبقى .. وبالتالى الى التحول الى المجتمع العمالى .. فالاستخلاف كتفويض من الله تعالى يضع المـالك للمـال أمام مجموعة من القيود أو المبادىء لا يحيد عنها .. يضعه :

١ — أمام المنفعة العامة للمـال ، فيشرك أصحاب الحاجة معه .

٢ — وأمام عدم الاستغلال لصاحب الحاجة عند التنمية ، فيمتنع عن الربا ، وأكل أموال الناس الضعفاء .

٣ — وأمام عدم العبث والتقيد فى الانفاق على الذات أو على الآخرين ممن يجب الانفاق عليهم .

وبهذه القيود والمبادىء لا تكون الملكية الشخصية طريقا الى الطغيان بالمـال والتدخل فى شئون الحكم وتوجيه سياسة المجتمع . بل تبقى طريق المباشرة النشطة للمـال .

وبهذه القيود أو المبادىء كذلك لا تكون الملكية الشخصية منفذا

الى تكديس الثروة ، ولا الى الشح فى انفاقها . فمانع الزكاة مرتد ويقاتل على ردته . وتقسيم الارث ضرورة اجتماعية واقتصادية »(١).

وبهذه القيود أو المبادىء كما تكون للمال حرمة عدم الاعتداء عليه باتلافه أو تخريبه أو الامتناع عن العمل فى انمائه .. تكون للعامل الحقوق التى قررها الاسلام والتى أفضنا القول عنها فيما سلف من أبواب هذا الكتاب وهى فى ايجاز :

١ — كفاية الأجر وحده الأدنى ضرورات الحياة من مأكل وملبس ومسكن .

٢ — قداسة هذا الأجر حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بدفعه قبل أن يجف عرق العامل .

٣ — كفالة أسرته بعد وفاته أو فى حالة عجزه .

٤ — ايجاد فرص العمل له عند تعطله .

٥ — عدم جواز تشغيله فى عمل محرم .

كما فرض الاسلام على العامل واجبات أهمها :

١ — الأمانة .. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » .

٢ — اتقان العمل « اذا عمل أحدكم عملا أحب الله أن يتقنه » كما أمر الرسول عليه السلام .

٣ — أن يكون الله غايته . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » .

والاسلام قبل ذلك دعوة حارة للعمل والجد فى اعمار الأرض واستخراج خيراتها واكتشاف المخبوء منها بعد الفكر والتأمل فى ملكوت الله وآياته .

يقول تعالى : « **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** »(٢) .

ويقول : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** »(٣) .

---

(١) من بحث للدكتور محمد البهى بعدد رجب ١٣٩٦ من مجلة الاعتصام القاهرية .

(٢) البقرة : ٢٩ (٣) الملك : ١٥

ويقول : **« وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله »**(١) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما آكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده » .

ويرفع العمل الى مرتبة الفريضة فى قوله : « طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

انها دعوة للانطلاق الى العمل فى كل الآفاق والى الاجادة والى الجد والى أمانة الخلافة التى فرضها الله على الانسان .

انها دعوة ليستفيد الانسان من كل طاقاته وأن يحرص على خدمة نفسه وأهله ووطنه والانسانية كلها ... والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

ولهذا كان على المسلم اذا ضاق به العيش فى مكان أن يهاجر منه الى مكان آخر واذا أخفق فى نوع من العمل أن يجرب نوعا آخر .

يقول المولى عز وجل : **« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »**(٢) .

ولا يرضى الاسلام للمسلم أن يعيش ذليلا فيقول مولاه :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا »(٣) .

فلو أن العالم الاسلامى — بموارده غير المحدودة — أجرى حكم الاسلام فى أمواله لما وجد فى المسلمين متعطل واحد أو فقير .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم »(٤) .

ولو أننا عدنا أمة واحدة كما أرادها الله وكما ضرب لنا عمر بن الخطاب المثل الأعلى للأمة الواحــدة عام الرمادة العــام الذى نزلت فيه المجاعة

---

(١) النحل : ١٤
(٢) النساء : ١٠٠
(٣) النساء : ٩٧
(٤) المائدة : ٦٦

بجزيرة العرب فتضافرت الأمة الاسلامية كلها فى مصر والشام والعراق لدفع أخطارها وكانت قوافل عمرو بن العاص بالغذاء أولها بالمدينة وآخرها بالفسطاط فى مصر •

ولو لم يطغ غنى بما يملك ليذل فقير بفقره •• لسعد كل أخ بأخيه ولما وجد بيننا مكان لتلك الأبواق الناعقة التى تروج لكل مذهب دخيل وعجيب حتى يجرؤ بعضها على رمى الاسلام بأنه رجعية أو دعوة الى تخدير الشعوب •

كيف يرمى الاسلام بهذه الفرية وهو الذى جعل من القلة المسلمة جمهرة ضخمة قوية سادت الدنيا •• ؟

انها دعوة لا يستعلن بها الا ممسوخ العقل ممسوخ الآدمية ••

وعهدنا بالمنوم يستولى على الجموع القوية المخوفة ، فلا يزال يلعب بها لعبه ويبذر فيها بذوره ويسقى شعلها بالمـاء لا بالنفط حتى يصير الجمر المتقد رمادا لا وميض فيه ولا خوف منه ، أما أن يستولى على المتفرقين فيجمعهم والضعفاء الهامدين فيجعـل منهم الشهب المحرقة والسيول المتدفقة والقوة الخارقة التى تنتصر بالرعب على مسيرة شهر ، ثم يقال انه نومهم لأهل الظلم والبغى فهى ضلالة لا تجد من يعلنها الا فى هذا القطيع الشائه الممسوخ •

وما ذا كذلك فى تخدير رسول الله للجماعات ؟ •

انه نوم الفقراء لأهل الغنى والمـال ويكفيك على هذا برهانا أن قد شرع لهم حقوقا مقدسة فى أموال هؤلاء الأغنياء ثم وكل الى السيف أن يستنقذها من رقابهم كلما جحدوها ••• ونوم الفقراء لأنه انتقل بهم من الفقر المدقع الى القصور الشامخة والثراء الواسع على ما تثبته حقائق التاريخ •

والآن هل هى معجزة غيرت حال هؤلاء غير الحال ؟ أو هو سحر أظهرهم للناس فى صور الملوك والأقيال ؟ أو هى المصادفة التى تواتى صاحبها برمية من غير رام ؟ •

لم تكن معجزة ولم يكن سحرا ولم تكن مصادفة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقائد الذى يقود الشعوب على غير ما رسم

الله من سنن الوجود .. وسنن الوجود مقدمات ونتـائج ، وأسبابه ومسببات ، وسبل تفضى إلى عواقب لا محالة .. وقد رسم له ربه فيما رسم « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم أمنا** »(١) .. فماله لا ينهض الى هذه الخلافة ؟ وماله لا يعلم أصحابه أن يؤدوا مراسيم هذه السيادة ؟ والدرس كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى ميزان الحقيقة : الايمان .. والعمل !

الايمان بالمثل الفاضلة والمعانى الروحية الكريمة .. أو الايمان بالله واليوم الآخر .

ثم العمل الذى يستمد روحه من هذه المثل ... فاذا اجتمع هـذا الايمان الى العمل الطيب المثمر كانت النتيجة التى لابد منها .. النتيجة التى يرجوها ويحبها كل رجل نبيل فاضل وكل أمة نبيلة فاضلة : خلافة فى الأرض ... وتمكين لمـا تعتنق من مبادىء الحق .

أما الايمان وحده فهو من أمانى العاجزين ولا نصيب لصاحبه الا الحرمان والهوان ..

وأما العمل وحده فهو سبيل الجحيم وسنة الشياطين .. وما نظن جيلا من الأجيال عمل ما عملت أوروبا ولكن ما نظن جيلا من الأجيال كذلك محق الله البركة من عمله وأذاقه الوبال بما صنعت يداه كما عهدنا بأوروبا « **ولا يزال الذين كفروا تصـيبهم بما صنعوا قارعة أو تحـل قريبا من دارهم** »(٢) .. فلابد للايمان من عمـل ، ولابد للعمل من ايمان ، وهذا ما جاء به الدين وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا القلة كثرة ، واذا الضيق سعة وبسطة واذا الضعف المهين قوة ومنعة وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أيها الناس .. لقد أمر الدين بالعمل وها أنتم هؤلاء ترونه يسمو بآمال أصحابه ، فلا يرضى لأحدهم أن تكون همته رغيفا يأكله ، أو لباسا يستره ، أو درهما يكنزه .. بل هيمنة على أرض الله ، وخلافة

---

(١) النور : ٥٥ (٢) الرعد : ٣١

كريمة على ما فيها من كنوز وأموال وقياما على شعوبها بمبادىء العدل والخير والسلم .. وليس وراء ذلك أمل لآمل »[1] .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »[2] ..

وأضيف حقيقة تثبت بالأرقام .. لو أن زكاة المسلمين أخرجت لاتسعت دائرة الاستهلاك ولارتفع مستوى المعيشة فى العالم الاسلامى ولدارت المصانع فى كل ركن من أركان هذا العالم ولعمرت الأرض ولمحق الفقر ولأقمنا ركنا من أركان الاسلام مهدوما فى معظم دول الاسلام مع أن من هدمه مرتد ..

أخيرا .. لابد لنا أن نعود أمة واحدة كما كنا وأن يتم التكامل بيننا وأوله التكامل الاقتصادى الذى يتضمن حرية العمل فى العالم الاسلامى للعامل المسلم وبه سيقوم الترابط وستقوى شعوب الأمة الاسلامية وستصبح قوة عظمى يحسب لها ألف حساب ...

نسأل الله تعالى للأمة الاسلامية سدادا وتوفيقا ..

* * *

(١) الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية للبهى الخولى ص ١٥٧ ، ١٥٨
(٢) المنافقون : ٨

المراجـــــــع

١ — القرآن الكريم :

٢ — الخراج : ابو يوسف . القاهرة ١٣٤٦هـ

٣ — المحلى : ابن حزم الأندلسى . القاهرة ـ مطبعة الامام .

٤ — صحيح البخارى المفسر : الدكتور مصطفى كمال وصفى . القاهرة ١٩٧٥م .

٥ — المشروعية فى النظام الاسلامى : الدكتور مصطفى كمال وصفى القاهرة ١٩٧٠م .

٦ — شريعة الاسـلام ـ العمل والعمال : جمال الدين عياد . القاهرة ١٩٦٧م .

٧ — نظم العمل فى الاسلام : جمال الدين عياد . القاهرة ١٩٥٢م .

٨ — العمل فى الاسلام : أحمد ماهر محمود البقرى . الاسـكندرية ١٩٧٠م .

٩ — كتاب المؤتمر الثالث : مجمع البحوث الاسـلامية بالأزهر . القاهرة ١٩٦٦م .

١٠ — تطوير الأعمال المصرفية : دكتور سامى حسن أحمد حمـود . القاهرة ١٩٧٦م .

١١ — السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية : لابن تيمية ـ تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور . القاهرة ١٩٧٠م .

١٢ — الاقتصـاد : دكتور أحمد أبو اسماعيل ودكتور سامى خليل . القاهرة ١٩٧٥م .

١٣ — مفاهيم ومبادىء فى الاقتصاد الاسلامى : دكتور شوقى اسماعيل . القاهرة ١٩٧٦م .

١٤ — المسلم فى عالم الاقتصاد : مالك بن نبى . بيروت ١٩٧٤م .

١٥ — الاسلام دعوة تقدمية لعالم متطور : عبد المغنى سعيد . القاهرة ١٩٧٠م .

١٦ — المادية الاسلامية وأبعادها : عبد المنعم محمد خلاف . القاهـرة ١٩٦٩م .

١٧ — الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر : الدكتور محمد البهى . القاهرة ١٩٦٥م .

١٨ — تهافت الفكر المادى التاريخى بين النظرية والتطبيق : الدكتور محمد البهى . القاهرة ١٩٧٥م .

١٩ — الاسلام دين العمل : عطية صقر . القاهرة ١٩٦٢م .

٢٠ ــ التفسير القرآني للتاريخ : الدكتور راشد البراوى • القاهرة ١٩٧٣م •
٢١ ــ اصول الاقتصاد السياسى فى الاسلام : محمد عطية خميس • القاهرة ١٩٥٨م •
٢٢ ــ الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى بين النظرية والتطبيق : البهى الخولى . القاهرة طبعة أولى •
٢٣ ــ الاسلام لا شيوعية ولا راسمالية •• العمل والعمال : البهى الخولى • القاهرة ١٩٥١م •
٢٤ ــ مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى : دكتور على عبد الواحد وافى • القاهرة ١٩٦٠م •
٢٥ ــ الاسلام دين الاشتراكية : مختارات الاذاعة والتليفزيون العربى • القاهرة ١٩٦١م •
٢٦ ــ الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة : أبو الأعلى المودودى • الكويت ١٩٧١م •
٢٧ ــ اسلامنا : السيد سابق • القاهرة ١٩٦١م •
٢٨ ــ مقومات الاقتصاد الاسلامى : عبد السيمع المصرى . القاهرة ١٩٧٥م •
٢٩ ــ التجارة فى الاسلام : عبد السميع المصرى • القاهرة ١٩٧٦م •
٣٠ ــ قواعد الاسلام ــ خمس وخمس : محمد صبيح • القاهرة ــ الطبعة الأولى •
٣١ ــ التكافل الاجتماعى فى الاسلام : محمد أبو زهرة . القاهرة ١٩٦٤م •
٣٢ ــ The General Theory of Employment, Interest and Money. By Lord John Meynard Keynes.

محتويات الكتاب

الفصل الرابع : البطالة

(١٠٣ ـ ١٣٢)

خاتمة

(١٣٣ ـ ١٣٩)

كتب للمؤلف

١ - مقومات الاقتصاد الاسلامى	مكتبة وهبة
٢ - التأمين الاسلامى	مكتبة وهبة
٣ - التجارة فى الاسلام	مكتبة الانجلو المصرية
٤ - مقومات العمل فى الاسلام	مكتبة وهبة

كتب باللغة الانجليزية :

١ - أركان الاسلام	دار الشعب
٢ - محمد نبى الاسلام (صلى الله عليه وسلم)	دار الشعب
٣ - الاسلام دين السلام	دار الشعب

رقم الايداع : ١٥٣٥ / ١٩٨٢

الترقيم الدولى : ٩ - ٣٦ - ٧٣٣٥ - ٩٧٧

مطابع دار التراث العربى
ت ٩٣٦١٤٥ - القاهرة